رثاء النفس في شعر محمد جاهين بدوي
"الموضوع والفن"
قصيدة "إلا ودادك زينب"
أنموذجا

إعداد

د/ أسَماء عبد الحكيم راتب عبد الحفيظ

مدرس الأدب والنقد بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

رثاء النفس في شعر محمد جاهين بدوي "الموضوع والفن "
قصيدة "إلا ودادك زينب" أنموذجا

أسَماء عبد الحكيم راتب عبد الحفيظ

البريد الإلكتروني: Asma Abdul hakim.el@azhar.edu.eg

الأدب والنقد بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

الملخص:

يعد الرثاء من الأغراض الشعرية المعروفة والتي طرقها الشعراء على مر العصور؛ حيث يتوجه الشاعر بمدحه إلى عزيز فقده أو حبيب سبقه إلى دار الحق، غير أن الشاعر قد تطرأ عليه أحوال عدة تجعله يعيش مع ذاته أزمة نفسية ترفض الواقع الأليم، وتتمرد على المجتمع، يشعر بالإخفاق والغربة والوحدة، إنه وحالته تلك يعاني من موت مجازيّ، يشعر باليأس ويقاسي الألم النفسي الذي يصل به إلى شعور الموت المعنوي الذي لا شك يستحق الرثاء، لكنه ليس ككل رثاء، بل هو رثاء الذات المغتربة الفاقدة للأمل وطعم الحياة.

تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على غرض رثاء النفس في قصيدة " إلا ودادك زينب" للشاعر الدكتور محمد جاهين بدوي _رحمه الله_ وبحث المعاني التي دار حولها رثاؤه لنفسه، ومحاولة معرفة أسباب أزمته النفسية مع ذاته التي تشعر بالإخفاق والاغتراب وبُعد الأمنيات واقتراب الموت، وأزمته مع المجتمع الذي دفعه دفعا ليسقط في غياهب جب الوحدة والغربة والألم، تلك الأزمة التي جعلته يتولى عن المجتمع ومن فيه وما فيه، ولا يهتم لأحد إلا ابنته زينب، فينكفئُ على نفسه، ويرسم كل هذا بصور شعرية راثية لأطلال نفس لما تمت بعد!

كلمات مفتاحية: رثاء، النفس، جاهين، إلا ودادك، زينب.

Lamenting the soul in the poetry of Muhammad Jahin Badawi "subject and art" The poem "Except for your father Zainab" as a model

Asma Abdul hakim Rateb Abdul hafeez
Email: AsmaAbdulhakim.el@azhar.edu.eg
literature and criticism at the Islamic Faculty of Girls in Assiut

Abstract

Elegy is one of the well-known poetic purposes that poets have used throughout the ages. Where the poet directs his praise to a loved one he lost or a lover who preceded him to the abode of truth, however, several circumstances may occur to the poet that cause him to live with himself a psychological crisis that rejects the painful reality, and rebels against society. He feels failure, alienation, and loneliness. In this state, he suffers from a metaphorical death. He feels despair and suffers psychological pain that brings him to the point of moral death, which is undoubtedly worthy of lamentation, but it is not like all lamentation. Rather, it is the lamentation of an estranged self who has lost hope and the taste of life.

This study attempts to shed light on the purpose of self-pity in the poem “Except for Your Father Zainab” by the poet Dr. Muhammad Jaheen Badawi - may God have mercy on him - and examine the meanings around which his self-pity revolved. And trying to find out the reasons for his psychological crisis with himself, who feels failure, alienation, the distance of wishes, and the approach of death, and his crisis with society, which pushed him to fall into the pit of loneliness, alienation, and pain, that crisis that made him turn away from society and those in it and what is in it, and he does not care about anyone except his daughter Zainab, so he is sufficient. On himself, and he paints all of this with poetic, elegiac pictures of the ruins of a soul that has yet to be fulfilled!

Keywords: lamentation, self, Jahin, except Widadk, Zainab**.**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جعل للإنسان من كلماته غذاء لروحه، ومن نظمه متنفسا لأوجاعه وآهاته، ومن بيانه جمالا تصبو إليه نفسه، والصلاة والسلام على سيد الفصحاء وإمام البلغاء، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد،،،

فقد تنوعت أغراض الشعر في الأدب العربي عبر العصور، غير أن رثاء النفس يعد من أهم هذه الأغراض، إن لم يكن أهمها على الإطلاق؛ إذ تنعكس على مرآته آلام الشاعر وأحزانه، وأنات نفسه وأشجانه، يبوح بما يعتريه من حسرات وآلام، ويفصح عبر أبياته وبيانه عن خلجات نفسه وجراح روحه، يصدر عن نفس ملتاعة يتجاذبها الحزن من كل حدب وصوب؛ فيسطر في ديوان الشعر العربي شعرا يفيض رقة وعذوبة وصدقا؛ حقا فإن الأدب يسعد بشقاء الأديب!

ولما كان رثاء النفس هو أصدق الأغراض الشعرية؛ إذ إنه أكثرها التصاقا بنفس الشاعر، كما أنه لا مجاملة فيه ولا عطاء عليه، فقد كانت قصيدة "إلا ودادك زينب" مجالا خصبا يغري بالدراسة والبحث؛ فهي تجربة شعرية ثرية تتنوع موضوعاتها وتحوي بين طياتها كما هائلا من المشاعر الصادقة التي استطاع الدكتور محمد جاهين بدوي أن يصوغها شعرا؛ مما جعل منها مادة جيدة تستحق الدراسة والبحث، فضلا عن الرغبة الخاصة في ولوج العالم الإبداعي للدكتور محمد جاهين بدوي، ومحاولة تحليل عناصر نصه الشعري؛ من أجل الكشف عن معاني رثاء النفس التي سالت على لسانه شعرا، والكشف عن سمات وخصائص شعره الفنية في غرض رثاء النفس.

أهداف البحث:

أحاول في هذا البحث استجلاء المعاني التي دار حولها شعر رثاء النفس في قصيدة "إلا ودادك زينب"، وكشف المسببات التي دفعت بالشاعر إلى بكاء

ذاته، ورصد الظواهر الفنية التي عضدت بوجودها معاني رثاء النفس في القصيدة، وتوضيح مدى العَلاقة بين هذه السمات الفنية وعاطفة الشاعر الحزينة.

منهج البحث:

يقوم البحث على محاولة استقصاء الموضوعات التي انطوت عليها قصيدة "إلا ودادك زينب" تحت لواء رثاء النفس، ولما كان هذا الاستقصاء يتطلب النفاذ عبر نفسية الشاعر ومحاولة استكناه أفكاره والاطلاع على ما يعتري نفسه من قلق وحزن، فقد نهض المنهج النفسي للقيام بهذه المهمة، ثم إن تتبع سمات شعره عبر ألفاظه وتقنيات التصوير والإيقاع؛ يجعل المنهج التحليلي أنسب المناهج للأداء في هذا المضمار، هذا إلى جانب المنهج الفني في تذوق النصوص وتحليلها، إضافة إلى المنهج التاريخي؛ لتتبع سيرة الشاعر ومسيرته العلمية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث الموسوم "رثاء النفس في شعر محمد جاهين بدوي" الموضوع والفن" قصيدة إلا ودادك زينب أنموذجا" أن يكون بناؤه على مبحثين، يسبقهما مقدمة وتمهيد ويتبعهما خاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.

وقد اشتمل التمهيد على محورين، أحدهما يتناول تعريف رثاء النفس، بينما يدور المحور الثاني حول الشاعر سيرة ومسيرة.

ويتناول المبحث الأول الموضوعات التي تفرعت عن غرض رثاء النفس بين طيات قصيدة "إلا ودادك زينب"، بينما يتناول المبحث الثاني رصدا للسمات الفنية ومدى تلاؤمها وتناسبها مع الغرض الأصلي في القصيدة.

ثم جاءت الخاتمة لتحمل بين دفتيها بعض النتائج التي يمكن إفادتها من هذه الدراسة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحثة

تمهيد

- **الشاعر "سيرة ومسيرة"**:

في قرية (الصنافين) مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية، وفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر يوليو عام ثلاثة وستين وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٦٣م)، الموافق السابع من ربيع الأول عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٣٨٣هـ)، ولد الشاعر محمد محمد جاهين بدوي [١]، لأم هي الزوجة الثانية للشيخ محمد جاهين بدوي، ذلك الأب الصبور الذي قضى ثمانية عشر عاما في انتظار وليده الأول؛ فرزقه الله محمدًا.[٢]

تلقى الدكتور محمد جاهين بدوي تعليمه الابتدائي في مدرسة "الصنافين الابتدائية الجديدة"، وأتم حفظ القرآن الكريم وهو في الصف الخامس الابتدائي، ثم التحق بمعهد بنها الإعدادي الثانوي الأزهري، و"مكث جاهين في معهد بنها الإعدادي الثانوي الأزهري سبع سنين، حيث كانت الثانوية أربع سنوات، وكانت هذه الفترة من أخصب الفترات وأزهاها وأبهاها في عمره؛ إذ هي الفترة التي تفتحت فيها مداركه، وتحددت ميوله وموهبته الأدبية، وعرف طريقه إلى أول مكتبة عامة كبرى في حياته – بعد مكتبة المدرسة الابتدائية التي كان يستعير منها بعض القصص المصورة الصغيرة – وهي مكتبة قصر ثقافة بنها، التي كان يستعير منها كتابين كل أسبوع، بعد أن صار له اشتراك في هذه المكتبة"[٣].

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، د/ محمد جاهين بدوي، دار شمس للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٣٣.

(٢) ينظر: البنية الإيقاعية في شعر الدكتور محمد جاهين بدوي، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بأسيوط، إعداد الباحث أحمد عبد الموجود عبد النبي، ٢٠٢١م، ص١٨ بتصرف.

(٣) شعر محمد جاهين بدوي، دراسة موضوعية فنية، رسالة جامعية لنيل درجة التخصص "الماجستير" من كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات – جامعة الأزهر بالإسكندرية، للباحثة/ خديجة أحمد علي حسن، ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٧ م، ص١٠.

وفي عام ١٩٨٥م، تخرج الدكتور محمد جاهين بدوي في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة بتقدير ممتاز[١]

وفي عام ١٩٨٦م عُيَّن الدكتور/ محمد جاهين بدوي معيدًا بقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة، ثم مدرسًا مساعدًا بالكلية ذاتها، وذلك بعد حصوله على درجة التخصص "الماجستير" عن رسالتهـ (قصيدة الصورة في شعر أبي شادي) عام ١٩٩١ م، ثم مدرسًا للأدب والنقد بالكلية، بعد حصوله على درجة العالِمية "الدكتوراه" عام ١٩٩٧ م، عن أطروحته (شعر الحب بين ابن عربي وابن الفارض) [٢]

وفي عام ٢٠٠٠م "غادر الوطن إلى المملكة العربية السعودية، حيث عمل أستاذًا مساعدًا في كلية المعلمين في منطقة "بيشة" التابعة لجامعة الملك خالد في أبها"، ثم شغل منصب رئيس قسم اللغة العربية في الكلية ذاتها في عام ٢٠٠٤ م" [٣]وظل هناك حتى أواخر حياته.

ترقى إلى درجة "أستاذ مساعد" بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة، وكان قد أعدَّ بحوث ترقيته لدرجة "أستاذ" بالقسم، لكن القدرَ لم يمهله للحصول على هذه الدرجة .

"وفي عام ٢٠١٨ م، تقدم باستقالته إلى الكلية التي كان يعمل بها في المملكة العربية السعودية، وعاد إلى مصر لسبع بقين من شهر شعبان عام تسعة وثلاثين

---

(١) ديوان وجواي فيك جوابي، د/ محمد جاهين بدوي، الطبعة الأولى، دار التلاقي للطبع والنشر، ٢٠١٠م، ص٧٧.

(٢) إنتاج الدلالة في شعر محمد جاهين بدوي، ديوان سادن سدرة المشتهى نموذجا، د/ عبير عيسى مهني، بحث مرجعي منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد التاسع والثلاثون، ص٢١٢٣.

(٣)ديوان حرم الهوى فمها، للدكتور/ محمد جاهين بدوي، دار شمس للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩ م، ص١٤٩.

وأربعمائة وألف من الهجرة (١٤٣٩ هـ)، فقد أصيبَ قبيل وفاته بفشل في وظائف الكبد، ولم يُشخص المرض إلا في مرحلة متأخرة من إصابته به، ولم تنجح كل المحاولات في أن يبرأ من مرضه ذلك حتّى زراعة الكبد لم يرَ فيها الأطباء فائدة، كما منعوا أي تدخل جراحي نظرًا لوجود بؤر أورام في الكبد، فظل في مستشفى "المقاولون العرب" بالجبل الأخضر حتى لفظ فيها أنفاسه الأخيرة".[١]

وهكذا توفي الأستاذ الدكتور محمد جاهين بدوي متأثرا بمرضه العضال، في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة، عام تسعة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة ١٤٣٩هـ، الموافق السابع من أغسطس عام ثمانية عشر وألفين من الميلاد٢٠١٨م، عن عمرٍ يناهز خمسة وخمسين عامًا[٢]، رحم الله الدكتور محمد جاهين بدوي وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا!

(١) البنية الإيقاعية في شعر محمد جاهين بدوي، ص٢٠.

(٢) من مقال منشور بجريدة أخبار العالم، للأستاذ الدكتور/ أحمد عيد عبد الفتاح حسن، أستاذ اللغويات، ووكيل كلية اللغة العربية بالقاهرة للدرسات العليا والبحث العلمي – جامعة الأزهر، بتاريخ ٢٦ / ٣ / ٢٠٢١ م.

مؤلفاته:

رحل الدكتور محمد جاهين بدوي عن دنيانا، لكنه ترك إرثا قيما من الشعر والمؤلفات الأدبية والأبحاث النقدية، نسأل الله تعالى أن يجعلها في موازين حسناته وأن ينفع به طلاب العلم في كل مكان وزمان.

فأما دواوينه الشعرية فهي خمسة دواوين مطبوعة تحوي إنتاجه الشعري المتنوع بين الشعر العمودي والتفعيلة الذي نظمه على مدار حياته، وهذه الدواوين مرتبة زمنيا كالآتي:

-الديوان الأول: (**حرم الهوى فمها**) **صدر عام ٢٠٠٥م**:

وهو أول مجموعة شعرية ينشرها الدكتور محمد جاهين بدوي، وقد تضمن هذا الديوان أشعاره التي نظمها في بداية حياته، وهو مكون من ١٥٦ صفحة، وصدر في طبعتين، الطبعة الأولى عن مطبعة أبناء وهبة حسان بالقاهرة عام ٢٠٠٥م، والثانية عن دار شمس للنشر والإعلام بالقاهرة عام ٢٠٠٩م.

-الديوان الثاني: (**إلا ودادك زينب**) **عام ٢٠٠٨م**:

صدر هذا الديوان في طبعة واحدة عن دار شمس للنشر والإعلام عام ٢٠٠٨م، وهو مكون من ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط، ويقع في أربع عشرة قصيدة، تتصدره قصيدة "إلا ودادك زينب" وهي القصيدة محل الدراسة، والديوان موسوم باسمها؛ حيث إنها تمثل بؤرة التجربة الشعورية التي عاشها الشاعر، وتنسب فنيا إلى بكاء الذات أو رثاء النفس، وجميع قصائد الديوان تعضد شعور الفقد والغربة والإخفاق وخيبة الأمل، حتى إن الشاعر هجا نفسه في إحدى قصائد الديون، وهي قصيدة يا محمد، وافتتحها بقوله: " إليّ وحدي"؛ ليقصر الهجاء واللوم على نفسه فقط.

-الديوان الثالث: (**وجواي فيك جوابي**) **عام ٢٠١٠م**

صدر هذا الديوان في طبعة واحدة عن دار التلاقي للكتاب، عام ٢٠١٠م، وهو مكون من ٨٠ صفحة من القطع المتوسط.

-الديوان الرابع: (**سادن سدرة المشتهى**)**عام ٢٠١٣**

يتكون الديوان من ١٠٧ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار روعة للنشر والتوزيع عام ٢٠١٣م

-الديوان الخامس: (**حدث أزهري قال**) **عام ٢٠١٤م**

وهو آخر دواوين الشاعر، ويتكون من ١١٦ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدرت طبعته الأولى عن دار روعة للنشر والتوزيع، بالقاهرة عام ٢٠١٤م. وكان الشاعر _رحمه الله_ قد عزم على إصدار أعماله الشعرية كاملة في كتاب واحد، وقد اختار له اسم: (الشواهين: ديوان من خمسة دواوين)، لكن القدر لم يمهله لإصدار هذا الكتاب[١] .

- **رثاء النفس**: **المفهوم والمصطلح**:

يعد الرثاء من الفنون الشعرية التي برع فيها الشعراء قديما وحديثا، وأولوها اهتماما وعناية، لا من حيث الصنعة والتنقيح وحسب، وإنما من حيث صدق العاطفة وإخلاص الشعور؛ فهو تعبير عن خلجات قلب مكلوم ووصف للوعة صادقة، وتجسيد لحسرة النفس وعذابها؛ ولذلك كان هذا الفن قلما تشوبه الصنعة، فهو يسيل على ألسنة الشعراء عفو الخاطر ملتحفا بمرارة الفقد وألم الفراق، "وهو من الموضوعات البارزة في الشعر العربي؛ إذ طالما بكى شعراؤنا من رحلوا عن دنياهم إلى الدار الآخرة، وهو بكاء يتعمق في القدم منذ خلق الإنسان ووجد أمامه

(١) ديوان حدث أزهري قال، الدكتور محمد جاهين بدوي، دار روعة للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ١١١.

ذلك المصير المحزن الذي لا بد أن ينتهي إليه، فيصبح أثرا بعد عين كأن لم يكن شيئا مذكورا".[١]

ولاقتران الرثاء بالموت؛ فقد اختلفت مواقف الشعراء في مراثيهم تبعا لاختلاف علاقتهم بالمرثي؛ ومن ثم فقد تنوعت معاني الرثاء نفسه، "فإذا غلب عليه البكاء على الراحل، وبث اللوعة والحزن، كان ندباً، وإذا غلب عليه تسجيل الخصال الحميدة التي تمتع بها الفقيد في حياته، كان تأبيناً، وإذا غلب عليه التأمل في حقيقة الموت والحياة كان عزاءً، وقد يجتمع الندب والتأبين والعزاء في القصيدة الواحدة".[٢]

وقد "عرفت اللغة الفرق بين الرثاء والتأبين، والندب كالرثاء: بكاء الميت وتعديد محاسنه، ويظهر أن نقاد العرب لم يستخدموا كلمة الندب في معنى الرثاء والتأبين، كما لم يفرقوا في الاستخدام بين الرثاء والتأبين وكانوا يضعون إحدى الكلمتين موضع الأخرى".[٣]

والرثاء حزن ولوعة وبكاء وتفجع وحسرة وألم و"أساسه الوفاء والسجية؛ إذ يقضي الشاعر بقوله حقوقا سلفت، أو يرسل تعدادا لمآثر الأهل، والشعراء يجمعون في مرثياتهم بين التفجع، والحسرة، والأسف والتلهف، والاستعظام، ثم يعددون مآثر

---

(١) فنون الأدب العربي، الرثاء، د/شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، ص٥.

(٢) أروع ما قيل في الرثاء، إميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، ط٢، ص٥.

(٣) أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر،١٩٩٦م، ص٢٢٤.

الميت مبللة بالدموع، فالمديح تعداد لمآثر الحي، والرثاء تعداد لمآثر الميت"[١] فهو "الثناء الباكي" كما يعرفه جبور عبد النور.[٢]

ورثاء النفس: بكاؤها والتفجع عليها وإظهار اللوعة والأسى على فوات العمر واقتراب المصير المحتوم، فيتأسف الشاعر على شبابه الراحل ومجده الزائل وعمره القاحل، وإذا كان الرثاء ذكر الحي للميت، فرثاء النفس هو ذكر الحي للحي، وتوجه بالخطاب من الشاعر لذاته وروحه لا إلى إنسان غيره؛ فالراثي هو المرثي والمقصود بالتوجع والبكاء هو نفس الشاعر وروحه، والمأسوف عليه شبابه وحياته.

لقد أكثر الشعراء من الرثاء عبر العصور المختلفة؛ لما فيه من قدرة على التنفيس عن الشاعر وإخراج ما يعتمل في نفسه من مشاعر الألم وشدة الحزن، وإذا كان الشعراء منذ القدم قد رثوا أهليهم وذويهم فأولى لهم أن يرثوا أنفسهم، حين تحين ساعة الموت، أو يستشعرون قرب النهاية، وقد رثى كثير من الشعراء أنفسهم وبكوها منذ العصر الجاهلي، ويذكر أن أول من طرق هذا الفن، فبكى نفسه ورثاها، وذكر الموت هو يزيد بن خذاق[٣]، بقوله:

هَلْ للفَتَى من بَنَاتِ الدَّهرِ من رَاقِي أمْ هلْ لهُ منْ حِمامِ الموْتِ منْ وَاقِي؟
قد رجّلوني وما بالشّعر من شعثٍ وألبسُونِي ثيابًا غيرَ أخلاقِ
وطيّبوني وقالوا أيّما رجل! وأدرَجُوني كأنّي طيّ مِخراقِ

(١) المعجم المفصل في الأدب، د/ محمد التنوجي، ج٢، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٩هـ_ ١٩٩٩م، ص٤٧٣.

(٢) راجع :المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م، ص١٢١.

(٣) العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق د/ عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنانن ١٩٨٣م، ط١، ج٣، ص٢٠١.

- **بواعث رثاء النفس عند الدكتور محمد جاهين بدوي**

تضافرت عدة عوامل نفسية واجتماعية كانت هي الباعث للدكتور محمد جاهين بدوي على رثاء الذات وبكائها وذلك من خلال نظم رائعته " إلا ودادك زينب" ويمكن إجمال هذه البواعث على النحو التالي:

١- **المرض**: أصيب _عليه رحمات الله_ بمرض عضال قلما ينجو منه إنسان، وهو الاتهاب الكبدي الوبائي (فيروس**C**)؛ مما كان له الأثر الأعظم في تراجع حالته الصحية والنفسية، وشعوره بدنو أجله واقترابه من نقطة النهاية؛ فكان ذلك سببا رئيسا دفعه إلى رثاء نفسه.

٢- **الغربة:** سافر الدكتور محمد جاهين بدوي إلى المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٠م؛ حيث عمل أستاذًا مساعدًا في كلية المعلمين في منطقة "بيشة" التابعة لجامعة الملك خالد في أبها، ثم شغل منصب رئيس قسم اللغة العربية في الكلية ذاتها في عام ٢٠٠٤ م، وظل هناك حتى أواخر حياته، وحينما اشتد عليه المرض تقدم باستقالته إلى الجامعة التي يعمل بها وعاد إلى وطنه عام ٢٠١٨م، ولا شك أن ثمانية عشر عاما من الغربة بعيدا عن الوطن والأهل والديار كفيلة أن تشعره بالوحدة وزاد من ألمه النفسي إصابته بالمرض وهو بعيد عن أهله؛ مما دفعه إلى الرجوع إلى أرض الوطن قبيل وفاته.

٣- **الاغتراب**: عانى الدكتور محمد جاهين بدوي من شعور الاغتراب النفسي؛ نظرا لما شعر به من ابتعاد الأصدقاء وتنكر الخلان وهجران الأحباب، إضافة إلى غربته بعيدا عن الوطن وإصابته بالمرض؛ فكانت هذه العوامل مجتمعة سببا في انعزاله وشعوره بدنو الأجل؛ فرثى نفسه وبكاها؛ حزنا على حاله وترقبا لمآله.

٤- **حبه لابنته وإشفاقه عليها**: كانت "زينب" أصغر أبناء الشاعر الدكتور محمد جاهين بدوي، ولما شعر باقتراب نهايته وسيره المحتوم نحو الموت؛ إثر إصابته بالمرض وشعوره بالاغتراب، هاله ما تصوره من معاناة ابنته بعد موته، وأشفق عليها مما ستواجهه من ألم فراقه وهي الحبيبة الضعيفة، إضافة إلى رغبته بتعريف ابنته بشخصيته التي لن يمهلها القدر لمعايشتها والتعرف عليها مثل إخوتها؛ من أجل ذلك؛ سطر "الزينبية"؛ رثاء لنفسه، ومواساة لابنته وتلطفا بها عله يخفف عنها ما ستعانيه من ألم بعد رحيله.

المبحث الأول

الدراسة الموضوعية

"إلا ودادك زينب" هي القصيدة الأولى في الديوان الموسوم باسمها والذي يضم أربع عشرة قصيدة، تسير في مجملها في ركاب الحزن والألم، وتنضح بالمعاناة والإخفاق، وتعضد شعور الوحدة والاغتراب، الذي دفع بالشاعر نحو هجاء نفسه في إحداها، والحديث عن الموت في أخرى، والانقطاع للمناجاة والتبتل في ثالثة، ثم رثاء نفسه في أول قصيدة في الديوان، تلك القصيدة التي تمثل بؤرة الرؤية الشعرية عند الشاعر في هذا الديوان، يتضح ذلك من خلال تصديره للديوان بقوله :"وهذه إضمامة من الشعر أخرى قد سلكتها للأشواق ترجمانا، وللمواجيد تبيانا، وعلى صديق الرؤى برهانا، وما أعدك في هذه الأوراق بخالص من متعة الفن وبهجة النفس، وإنما هي أمشاج من تمر الشعر، وجمر الجوى، وسطور من ندوب القلب"(١)

إن هذا التصدير للديوان ينبئنا عما كان يعانيه الشاعر من الحسرة والألم، وما ألم به من خوف المصير المحتوم؛ مما جعله يسطر أنات قلبه في سطور شعر يتقلب فيه على جمر الآلام والأحزان.

إن رثاء النفس يعد من أصدق أنواع الشعر، بل إنه أصدقها على الإطلاق؛ إذ لا رياء فيه، ولا عطاء عليه، بل هو نابع من نفس الشاعر المعذبة وفؤاده المكلوم وروحه الجريحة، إن شعوره باقتراب الأجل، وخوفه من خطر الموت المحدق به، وسيره المحتوم نحو النهاية ينعكس على نفسه ولا سبيل له لتجاوز كل هذه المشاعر إلا بالبوح شعرا، والنوح على نفسه عله يخلصها مما يعتريها من الحزن والأسى.

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص٧.

وتتنوع رؤى الشعراء عند بكاء ذواتهم، وتختلف طرق تعبيرهم عن مشاعر الخوف والقلق تجاه الموت والمصير المحتوم، فتأتي مضامين قصائدهم مختلفة تبعا لما يؤثر فيهم عند ذكر الموت وما يثير في أرواحهم القلق عند مغادرة الدنيا ومن فيها من أبناء وأحباب، فمنهم من يتذكر الأهل والأصدقاء ومنهم من يعدد مشاهد القبر والآخرة والبعث، ومنهم من يذكر صفاته الكريمة، ومنهم من يحاول ترك الأثر الطيب بعد موته في هيئة حِكَم تهون على محبيه فراقه وموته، وقد تنوعت مضامين رثاء النفس عند الدكتور محمد جاهين بدوي في قصيدته "إلا ودادك زينب"، على النحو التالي:

١- ذكريات الأهل والدار

يعيش الإنسان في هذه الحياة يتنعم فيها ويقطف ملذاتها، ويمضي في الأزمان تلهيه بجمالها وزينتها، لكنه بين حين وآخر لا يفتأ يذكر الموت، تلك الحقيقة المرة والقوة العاتية المجهولة التي تطارده، فلا شفاعة فيها ولا فكاك منها، قد تأتيه على حين غرة من أي حدب أو صوب، فلا يستطيع لها مردا، ولا يجد من سطوتها مهربا، ولا يجد أمامه إلا طريقا وحيدا يسلكه، هو طريق الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع.

وإحساس الشاعر بدنو أجله إثر ما يعتريه من مشاعر سلبية تضيق عليه نفسه وتصيب رؤيته للمستقبل بالضبابية والعتمة، كالشعور بالإخفاق والحسرة على الشباب والألم لفراق الأحباب، وشعور الاغتراب والحزن على فوات العمر تجعله يجنح إلى عزاء نفسه ورثائها، فيتذكر أهله وأحبابه، ويحن إلى ذكرياته وديارة، ويعدد مشاهد حياته السالفة وكأنه يراها بعد موته.

إن أكثر ما يثير شجون الشاعر ويلهب عاطفته المكلومة تذكره لأكثر الأماكن قربا من نفسه ومحبة في قلبه، فكيف إن حاول تصور تلك الأماكن والأشياء بعد رحيله! وأكثر ما يقطع نياط قلوب محبيه حزنا عليه

رؤيتهم لمتعلقاته وأشيائه وقد باتت مهملة، لا يثير وجودها سوى مزيدٍ من الأحزان والآلام، ومكانه الذي اعتاد الجلوس فيه فارغا موحشا.

وفي قصيدته "إلا ودادك زينب"، يرثي الدكتور محمد جاهين بدوي نفسه، ويتذكر على لسان بنيته زينب أكثر الأماكن والأشياء ارتباطا به وعلوقا بنفسه وشخصيته، إنه مكتبه ودفاتره، ذلك المكان الذي قضى فيه جل عمره، جالسا إلى مكتبه بين الدفاتر والكتب، يؤلف ويحبر وينقد ويدبج، يصف كيف سيكون حال هذه الأشياء والأماكن من بعده، ويرسم صورة ناطقة تفيض بالأسى ويتشظى منها الحزن والحسرة، فهذه دفاتره لا يجف دمعها حزنا عليه، وهذا مكتبه ينزوي كسير القلب مهيض الجناح يعاني الغربة والحنين إلى صاحبه الذي طالما تعاطى معه العشق واشتركا معا في إنجازات هي خير شاهد على طول صداقتهما وعمق محبتهما، يقول[1]:

هَذِي دَفَاتِرُهُ..
تُكَفْكِفُ دمْعَها..
شَوْقًا إِلَيْهِ..
وَذَا هُنَالِكَ صَوْبَ قِبْلَتِهِ..
ثَوَى..
فِي رُكْنِ غُرْبَتِهِ..
مَهِيضًا مَكْتَبُ..
كَمْ بَثَّهُ عِشْقًا..
تَلَظَّى فِي حَشَاهُ..
ومَا اسْتَقَامَ لَهُ بِعِشْقٍ..

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٧-١٨.

مَذْهَبُ

وتزداد نفس الشاعر آلاما وتسقط حسرات على ما آل إليه بعد الموت عنما يرتبط ذكر الأهل بحديث الأبناء، خاصة البنات لأنهن ضعاف، و"زينب" عند أبيها ليست ككل الأبناء والبنات، بل هي أصغر إخوتها حبة القلب وسويداؤه، أم أبيها كما وصفها في مقدمة ديوانه؛ حيث صدر الديوان بإهدائه لها، قال فيه: "إلى بنيتي الحبيبة زينب، أم أبيها، مودة ورحمة، وإلى إخوة زينب، شادي، مؤنس، مريم، عطفا عليها، وإن كانوا إلى سكنى قلبي هم السابقين، ومحبة منها إليها، أهدي هذه الأوراق"[١]

يتوجه الشاعر بالحديث إلى حبة قلبه زينب، مشفقا عليها مما ستقرأه وما ستجده بين ذكرياته وما تركه من أسرار ظلت طوال حياته حبيسة الدفاتر والكتب، إنه يتصور كيف سيصيبها الذهول عند رؤية أبيها بين كتاباته وقصائده على حال غير حاله في حياته، أبا **تتجسد** فيه القوة والمهابة لا يعرف الشوق طريقا لقلبه، ولا تجد الدموع سبيلا إلى مقلتيه، لكنه بين السطور شاعر عاشق يبكيه الوجد ويؤلمه الفراق وتغلبه دموع الشوق، يقول[٢]:

وَسَتَقْرَئِينَ دَفَاتِرِي وَقَصائِدِي..

أَبُنَيَتِي..

مَشْدُوهَةً تتَسَاءَلِينَ:

أَكَانَ يَعْشَقُ..

مِثْلَ رُفْقَتِنَا أبِي؟!

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص٥.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، د/ محمد جاهين بدوي، شمس للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة ٢٠٠٨م، ص١٨-١٩.

أَوَ كانَ يَنْزِفُ..
مِنْ غَرَامٍ وَجْدَهُ؟!
أَوَ كانَ يَذْرِفُ..
مِثْلَ دَمْعَتِنَا أَبِي؟!
وتُرَى لَهُ بالخَدِّ..
دَمْعَةُ عاشِقٍ..
تَتَصَبَّبُ؟!

لقد قرّ في نفوس الناس على مر العصور أن للأب صورة مثالية يجب أن يحافظ عليها أمام أبنائه، إنه أب قوي مهيب لا يعشق ولا يبكي ولا يتألم؛ من أجل ذلك كان محور رؤية الشاعر وهو يرثي نفسه ويتذكر أحبابه وأبناءه، ويتذكر مكانه وكتبه ودفاتره، كيف سيكون شعور ابنته عندما تطالع كتبه! كيف سيصيبها الذهول عندما تجده يهيم عشقا ويبكي وجدا!، لقد حاول في أبياته أن يخفف عنها وطأة هذا الذهول وتلك الدهشة؛ فترك لها تلك الأبيات علها تهون عليها ألم فراقه، وعلها تكون يده التي تربت على قلبها المكلوم بعد وفاته.

٢- معاناة الغربة والاغتراب وألم الفراق

تعد الغربة بعيدا عن الأهل والوطن والشعور بالاغتراب من أهم المؤثرات النفسية التي ينتج عنها إحساس عميق عند الشاعر بالفقد ويخيم الحزن على حياته وأفكاره؛ فيدفعه إلى رثاء نفسه وبكائها، تعبيرا عن لواعج النفس بسبب الفراق والحنين إلى الأهل والوطن، وأملا في التخلص من شعور الاغتراب المسيطر على نفسه وهو بين أهله وأقرانه، " وتبدأ غربة الشاعر واغترابه بين عالميه المادي والرؤيوي؛ حيث تعود غربة الشاعر بطبيعة الحال إلى عوامل

ذاتية وموضوعية، وعوامل أخرى روحية ومادية متداخلة، كما أن الاغتراب يرتبط بسلسلة من العوامل الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية".[١]

وفرق شاسع وبون واسع بين الغربة والاغتراب، فـ" الغربة هي: نزوح الشاعر بعيدا عن أهله وموطنه الأصلي، فيذكر وطنه وقومه في غربته أو موطنه الجديد؛ فهي غربة فرضتها طبيعة الحياة، وهي عموما خارجة عن إرادة الإنسان، أما حين يجد الإنسان نفسه رافضا لقيم المجتمع من حوله، وحين يفكر في غده ويستشعر مأساة الموت التي تخيم شبحا فوق حياته، وحين لا يرضى بالتقاليد والأعراف السائدة في بيئته؛ فيخالف مجتمعه في الفكر والمعتقد؛ فإن كل هذا قد تم بإرادته أو برغبة منه، فهذا هو الاغتراب عن الذات، وهذا التقسيم ليس مفتعلا وإنما اقتضته طبيعة المادة الشعرية؛ فكل غربة حصلت قهرا فهي غربة، وكل غربة حصلت طوعا فهي اغتراب".[٢]

ومن خلال مطالعة قصيدة "إلا ودادك زينب"، نجد أنها تمثل قمة المشاعر المتأرجحة بين شعوريّ الغربة والاغتراب؛ فقد صدرها الشاعر بقوله: " لكنَّ قلبِي لا بواكِي لهُ"[٣]، كاشفا عن شعور عميق يسكن قلبه بالاغتراب عمن حوله؛ حتى إنه يشعر أن لا أحد سيبكيه بعد موته!، ثم زيلها بالتأريخ لها موضحا أنها نظمت حال غربته بعيدا عن أهله ووطنه، عندما كان معارا إلى منطقة بيشة بالمملكة العربية السعودية، فقد حبرها يوم الأحد الثامن عشر من

---

(١) الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الأندلس للطباعة، بيروت، لبنان، ص١٠.

(٢) الغربة في الشعر الجاهلي، عبد الرازق الخشروم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٢م،ص١٥-١٦، وينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي، د/ يحيى الجبوري، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م، ص١٧.

(٣) ديوان إلا ودادك زينب، ص٩.

ربيع الأول عام سبعة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة (١٤٢٧هـ)، الموافق السادس عشر من أبريل عام ستة وألفين من الميلاد (٢٠٠٦م) [١].

وليس أقسى على نفس الشاعر من أن يشعر بدنو أجله وترصد الموت له وهو بعيد عن أهله، ولا ريب أن غربة الشاعر واغتراب روحه يزدادان وطأة على نفسه إن شعر أنه يمشي قدما نحو نهاية عمره، لا أنيس له ولا صديق معه، فقد "كانت تعظم المصيبة على الشاعر حين يجد نفسه غريبا عن وطنه وديارِه، وينزل به الموت ولا يجد مفرا من لقائه، وينظر حوله فلا يجد أحدا من أهله، فليس معه من سيشيعه ولا من سيحفر لحده، ولا من سيبكيه ويندبه"[٢].

لقد حاول الشاعر أن يواسي قلب ابنته عند رحيله، مؤكدا أنه لن يحزن على شيء في هذا الكون، فلا شيء فيه يستحق الأسى والحزن، إلا فؤادها هي، حبة قلبه زينب، إنه لا ينزع عن قلبه الراحة إلا تصوره لحزنها واضطرابها ووجيعة فؤادها عند رحيله، يقول[٣]:

وأبُوكِ عِنْدَ المَوْتِ..
لنْ يَأْسَى علَى شَيءٍ أُضِيعَ..
فمَا لَهُ في الكَوْنِ..
إلَّا ذَا الرَّجَاءِ الأَخْيَبُ.
إلَّا فُؤَدَكِ زيْنَبُ.

ثم يتفاقم إحساس الشاعر بالاغتراب والوعي بقيمة الذات والإحساس بالحزن لما لاقاه من الأصدقاء، والشعور العارم بانفصام عرى الألفة بينه وبين المحيطين به، وبين ما مُني به من حرقة التغرب عن أهله ولوعة الحرمان منهم؛

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٤.

(٢) الرثاء، د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ص٣٠.

(٣) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٤.

فيؤكد لابنته أنه إذا حضره الموت لن يأسى على أحد في هذه الدنيا؛ فجميعهم خائن، وصداقتهم زائفة، وكل ودٍ منهم كاذب، إلا ودادها هي، وداد روح فؤاده زينب!، يقول[1]:

وأبُوكِ عِنْدَ المَوْتِ..
لنْ يَبْكِي علَى وُدٍّ خَؤُونٍ..
كُلُّ وُدٍّ عِنْدَهُنَّ..
مُكَذَّبُ.
إلَّا وِدَادَكِ زَيْنَبُ!.

إنه عند القبر لن يضيره ما فاته في هذه الدنيا، فكل ما فيها لا قيمة له، ويؤكد لابنته إنه عند حضور الأجل لن يشغله ملكه الفائت، أو صديقه المفارق، أو حبيبه الخائن، إنه لا يشغله شيء إلا ابنته، وما سيلاقيه فؤادها الغض من حسرة وألم بعد موته، يقول[2]:

وأبُوكِ عِنْدَ القَبْرِ..
لَنْ يَلْوِي عَلَى مُلْكٍ تَوَلَّى..
أوْ خَلِيْلٍ قَدْ تَخَلَّى..
أَوْ حَبِيبٍ قَدْ تَحَلَّى..
بالمَوَاعِدِ كاذِبَاتٍ
وانْثَنَى..
في لَيْلِ عُمْرِي..
بالخِيانَةِ يَحْطِبُ..
إلَّا فُؤَدَكِ زيْنَبُ.

---

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٤.

(2) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٥.

ثم تتصدع نفس الشاعر وتسقط حسرات في غيابات جب الحزن والألم عندما يحض ابنته على البكاء عليه بعد موته، لكن ما يزيد من حرقة قلبه أن بكاءها سيكون للغريب، فلا صديق محب، ولا حبيب مخلص، إنه يستشرف حياة ابنته من بعده، يراها مغتربة مثل روحه، وحيدة مثل قلبه، حزينة مثل فؤاده، فلا داعي حينها لإظهار التجلد والصبر، ولتذرف الدمع مدرارا على فراق أبيها، وعلى وحدتها وغربتها في الدنيا بعده، يقول[1]:

نُوحِي هُنَالِكَ للغَرِيبِ..
وأَعْوِلِي يَا زَيْنَبُ..
وَدَعِي التَّجَلُّدَ جَانِبًا..
لا تَسْمَعِيهِ..
كُلُّ فِقْهٍ فِي التَّجَلُّدِ أَكْذَبُ.
ما كَانَ أَحْوَجَنِي..
لِقَلْبٍ مثْلِ قَلْبِكِ..
فِي حَيَاتِي..
مِنْ وِدَادٍ يَنْدُبُ

لقد استطاع الشاعر عند بكاء ذاته أن يجعل من ألفاظه سياطا يزداد وقعها على نفسه خاصة عندما يرتبط الأمر بمفارقة أحب الناس إلى قلبه، ابنته الحبيبة زينب، فما أعظم الخطب! وما أشد حسرة نفسه! وما أكثر جراحات قلبه! وما أهون الدنيا في عينيه!

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٣.

٣- ذكر الصفات الكريمة عند الموت

تختلف طرائق الشعراء في التعبير عن خلجات نفوسهم وما يعتريهم من مشاعر مختلفة، خاصة عند مواجهة خطب عظيم كالموت، لكنها في النهاية تبقى لوحات فنية تصطبغ قسماتها بالأسى والحزن، حتى عند الحديث عن أنفسهم وتذكر صفاتهم الكريمة، وتظل كلماتهم بعد انقضاء حياتهم تنساب من بين حروفها أنات نفس مكلومة حزينة على مفارقة الأهل والأبناء، لكنها كانت وسيلتهم الوحيدة للخلاص المؤقت من مشاعر الحزن والألم وتجاوز تلك الأحاسيس المسيطرة عليهم.

والشاعر إذ يتألم إزاء شعوره بدنو أجله وحتمية فراقه لابنته الحبيبة زينب، وتتأجج في قلبه عاطفة الأبوة الحانية وتتداخل معها مشاعر الاضطراب والقلق من المصير المحتوم، يحاول أن يمد من كلماته جسرا من الحب إلى قلبها؛ فيجعل من صفاته الكريمة ومناقبه المحمودة ذخرا لها ومصدر فخر بعد رحيله، إنه يصف لها كيف كان هو الأب الذي حاز صفات الرجولة من الشجاعة والإقدام والمهابة وعلو الهمة والمروءة، لا يهاب أحدا ولا يخشى في الحق لومة لائم، يقول[١]:

مَا كُنْتُ يَوْمًا..

ـزَهْرَتِيـ

بَيْنَ الرِّجَالِ مُؤَخْرًا..

سِقْطَ المُرُوءَةِ..

خَانِعًا..

أَتَهَيَّبُ

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٢.

إن قلق الشاعر وتوتره ووقوع روحه تحت وطأة المرض والشعور بالموت واقتراب النهاية، جعلته يسعى جاهدا لبيان حسن نواياه وجمال صفاته؛ أملا في إزالة لبس قد يقع في نفس ابنته إن قرأت أشعاره في الغزل وطالعت كلماته عن معشوقته، إنه أطهر عاشق ومحبوبته طاهرة القلب رقيقة، عذبة الحديث غضة الروح جميلة الوجه، وكيف لا ومحبوبته ليست إلا مهجة مهجته، بنيته الرقيقة زينب!، يقول[1]:

لا تُغْرِقِي بالظَّنِّ..
_مُهْجَةَ مُهْجَتِي _
فأَبُوكِ أَطْهَرَ منْ تَعَشَّقَ فِي الدُّنَا..
وَحَبيبَتِي..
عَذْرَا الجِنَانِ..
حَديثُهَا آيٌ نَدِيٌّ..
مُطْرِبُ.
وقُلَيْبُهَا في العِشْقِ
رَوْضٌ رَبْرَبُ

وتمتد صفات الشاعر الكريمة ومناقبه الحسنة لتتناوب على مخيلته؛ ليرسم منها صورة جميلة براقة تشفي غليل قلب ابنته المكلوم بعد رحيله، ولوحته الفنية الآن من نصيب قلبه الرقيق، فقلب أبيها لطيف ساحر عذب رقيق ناصع كاللؤلؤ جذاب كالذهب، لقد رسم بكلماته صورة فاتنة لقلبه، لا يطفئ وهج جمالها وبريق حسنها سوى الحزن المتسلل عبر كلمات الشاعر الذي كتبها رثاء لنفسه وبكاء لذاته، يقول[2]:

([1]) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٠.

([2]) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٠.

وَأَبُوكِ..

يَا حَقْلَ اخْضِرارِ الحُبِّ

قَلْبٌ سُنْدُسِيٌّ..

مُخْمَلِيٌّ..

بَابِلِيٌّ..

كَوْثَرِيٌّ

لُؤْلُئِيٌّ مُذْهَبُ.

ويستمر الشاعر في وصف قلبه الصادق المحب؛ فنلمس فيه شفافية روحه وقوة عاطفته وصدق مشاعره ورقة إحساسه؛ إذ يبدو أكثر تمسكاً بالحب وإخلاصا للعشق، ووفاءً للهوى، فقلبه قديس في محراب العشق، لا يغادر صومعة عشقه ولا ينسى محبوبته مهما حل به من أفاعيل الدنيا ونوائبها، ولم لا؛ وقلبه روضة غناء يترعرع فيها زهر العشق بفضل منبع وجده الذي لا يجف، يقول[1]:

والعِشْقُ فِيهِ..

إلَى القَدَاسَةِ أَقْرَبُ.

والعِشْقُ فِيهِ..

_حَبِيْبَتِي_

رَغْمَ الرَّدَى لا يَذْهَبُ.

والعِشْقُ فِيهِ..

_بُنَيَّتِي_

فِرْدَوْسُ زَهْرٍ لاهِبُ

رَوْضُ الصِّبَا..

مِنْ وَجْدِهِ يَتَخَضَّبُ..

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢١.

وهكذا، حرص الدكتور محمد جاهين بدوي على أن لا يغادر الدنيا قبل أن يرسم ملامح شخصيته لابنته الصغيرة؛ لتستنير بها بعد موته وتتعرف على أبيها الذي لم يمهلها الوقت لتعرفه حق المعرفة، وإنما فعل ذلك حبا لها ورفقا بها وشفقة عليها ومواساة لقلبها المكلوم من بعده، فجاء رثاؤه لنفسه ممزوجا بطعم الحب لابنته ويفوح منه أريج العطف عليها والرفق بها.

٤- الحكمة في رثاء النفس

اشتهر عرب الجاهلية بالحكمة، وأبدع فيها الشعراء على مر العصور أيما إبداع؛ إذ إنها تمثل عصارة تجاربهم وخبراتهم في الحياة، ويمكن تعريفها بأنها: "إصابة الحق بالعلم والعمل، وهي من الله: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفته وفعل الخيرات، وأحكمه إحكاما أتقنه، ومنه قولهم للرجل إذا كان حكيما: "قد أحكمته التجارب"، وهي إصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام".[١]

وأحسب أن أكثر الشعر ذيوعا وانتشارا، ما جاء في ثوب الحكمة، وما نسجه الشعراء من خيوط التجارب وتتابع الأزمات وخبرات الحياة؛ فهي "دليل على رقي عقلية الشعراء وتفكيرهم وتأملهم في قضايا الناس والحياة، وهي ثمرة تجارب طويلة وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة، وتأمل في الناس وأخلاقهم، والماضين ومصائرهم، وتأمل في سعي الإنسان وغايته ونهايته، ثم إحساس دقيق بالحياة، وهي ليست فلسفة ذات أصول أو تفكير منظم، بل هي إلى الإحساس الذاتي والتأثر أقرب منها إلى التفكير العلمي؛ فهي نظرات وانطباعات، وتأمل في الحياة

---

(١) الحكمة، د/ناصر بن سليمان العمر، دار الوطن للنشر، الرياض،ط١، ١٤١٢هـ، ص١٧،١٣.

والموت، ومحاولات لسن نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك".[١]

ولما كانت الحكم تصدر عن عقل راجح ونظر ثاقب ورأي محكم، ولما كانت تصاغ من مفردات قليلة؛ لتكون قليلة المبنى غزيرة المعنى، ولما تحمله بين طياتها من عبرة وموعظة؛ "فقد تشتهر لتكون مثلا سيارا وقولا ذائعا"[٢]، ولا شك أن الحكم تصبح أكثر تأثيرا في النفس إذا صدرت عن عاطفة صادقة، وليس ثمة عاطفة أصدق من عاطفة الشاعر عندما يسيطر عليه إحساسه باقتراب الموت ودنو الأجل.

وفي معرض رثائه لنفسه بث الشاعر الدكتور محمد جاهين بدوي عددا من الحكم في تضاعيف قصيدته "إلا ودادك زينب"، وكانت أولى حكمه عن حقيقة الموت والحياة، تلك القضية التي شغلت الناس من الفلاسفة والمفكرين والشعراء منذ أقدم العصور؛ فهو يوصي ابنته ويطلب منها ألا تحزن عليه بعد موته، فكل إنسان لابد هالك وكل حي سائر إلى مصيره المحتوم؛ فهو قضاء الله وحكمته في خلقه، مؤكدا أن العمر لحظة والموت نهاية كل طريق ولا بد للانسان أن يصل إليه وإن سالمه الردى، وصائر إليه وإن طال المدى، يقول[٣]:

لا تَحْزَنِي..
باللَّهِ ساعَتَها..
أَيَا فَجْرَ الطَّهَارةِ..

---

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د/يحي الجبوري، ص٤٠٣، وينظر: شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، د/ مصطفى عبد الشافي الشوري، الدار الجامعية ، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص٢٦٢.

(٢) راجع: المتنبي وشوقي دراسة موازنة ونقد، د/عباس حسن، دار المعارف ، ١٩٦٤م، ص٣٢٨.

(٣) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٣-١٤.

كُلُّ حيٍّ يُطْلَبُ.

لكن الشاعر عندما هاجمه المرض وسيطر عليه شعوره بالاغتراب وجثم على صدره إحساس الغربة، عدل عن وصيته السابقة _لا تحزني_ لابنته، وطلب منها أن تنوح وتعول عليه بعد موته لا للأقرباء والأصدقاء، فهؤلاء لا دور لهم في حياته المفعمة بمشاعر الاغتراب، وإنما تبذل نواحها للغريب، يوصيها أن لا تجاهد الحزن وأن تستسلم له، ولا تظهر بطولة في الصبر والتجلد؛ فموج الحزن أعتى من كل سفن الصبر، وعندما يحضر الموت فكل فقه في التجلد كاذب، يقول[1]:

نُوحِي هُنَالِكَ للغَرِيبِ..
وأَعْوِلِي يَا زَيْنَبُ..
وَدَعِي التَّجَلُّدَ جَانِبًا..
لا تَسْمَعِيهِ..
كُلُّ فِقْهٍ فِي التَّجَلُّدِ أَكْذَبُ.

وفي ظل حديثه عن تصوره لدهشة ابنته زينب وهي تطلع بعد موته على ما في دفاتره من قصائد عشقه ودموعه كعاشق وضعفه تجاه الحبيبة، يقرر حقيقة أخرى عن الحب، إنه الخطر الذي يلجه كل أحد، وأن حاله ليس حكرا عليه وحده، بل هو حال كل عاشق، يتقلب على جمر الهوى، لا يهدأ له بال، ولا يستقر به حال، يفنيه الهيام، ويستبد به الغرام، يقول[2]:

أَوَّاهُ يا كَبِدِي..
وَيَا كَبِدَ البَرَاءَةِ..
كُلُّ صَبٍّ مُسْتَهَامٌ..
مُسْتَطَارُ اللُّبِّ..

---

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٣.

(2) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٩.

نِضْوٌ مُتْعَبُ.

وهكذا، جاءت حكمه في سياق رثائه لنفسه عصارة لتجاربه الطويلة وخبراته الواسعة، وتخدم الفكرة العامة والرؤية الفكرية للشاعر والتي من أجلها نظم القصيدة، وتعبر بصدق عن مكنون نفسه ومدى حبه لابنته ومهجة قلبه زينب.

٥- التحدي في مواجهة الموت

لما كان هذا النوع من الرثاء(رثاء النفس) من أقسى التجارب الشعورية على كل من الشاعر والمتلقي؛ لما يكتنفه من مشاعر متداخلة من الإخفاق والحزن والألم والحسرة وخوف المصير المحتوم والسير الإجباري نحو النهاية؛ كان النظم فيه يتطلب من الشاعر قوة النفس والعزيمة والشجاعة والتحدي في مواجهة الموت عند الحديث عنه، ورغم ما كان يعانيه الشاعر الدكتور محمد جاهين بدوي من مرض وغربة واغتراب نفسي مما أودى به في غيابات الضعف وشعور الانهزام، إلا أنه كان أكثر قوة وبسالة في مواجهة الموت، ممثلا في قدرته على مواجهة ابنته بحقيقة ما يواجهه من شعور باقتراب الأجل ودنو الموت.

وما أقساه من شعور! ضعيف مريض مغترب في مواجهة ابنته الصغيرة الضعيفة بتلك الحقيقة المرة! كيف يعبر؟ وكيف يتكلم؟ كيف يمكنه أن يظهر بسالة وتجلدا وهو يخبرها بشعوره باقتراب رحيله عنها؟ وربما كان في اختيار الشاعر لابنته زينب دلالة معنوية وبعدا نفسيا؛ فهي أنثى ضعيفة، وهي أصغر الأبناء، وفي هذا ضعف فوق ضعف؛ مما يزيد من حدة المواجهة ويتطلب عزما وجهدا مضاعفا من الأب الضعيف الذي بلغ منه المرض مبلغه، ونالت منه الغربة ما نالت وطوقه الاغتراب حتى أنطق بالعذاب والرثاء روحه قبل لسانه!

وعلى هذا الوهن والضعف الذي يعانيه الشاعر نجده يبدع في التحدي والمواجهة، ويظهر شجاعة عند حديثه مع ابنته عن الموت وكيف أنه لن يأسى

على الدنيا وما فيها من الملك والجاه، ومن فيها من أصدقاء زائفين، وأحباب خائنين، يقول[١]:

وأبُوكِ عِنْدَ القَبْرِ..
لَنْ يَلْوِي عَلَى مُلْكٍ تَوَلَّى..
أوْ خَلِيْلٍ قَدْ تَخَلَّى..
أَوْ حَبِيبٍ قَدْ تَحَلَّى..
بالمَوَاعِدِ كاذِبَاتٍ
وانْثَنَى..
في لَيْلِ عُمْرِي..
بالخِيانَةِ يَحْطِبُ..

إنه في مواجهة الموت قوي شجاع باسل، وشجاعته هذه نابعة من معرفته بحقيقة الزائفين من حوله، إنهم لا يستحقون البكاء عليهم ولا الحزن على فراقهم؛ وكيف لا وجميعهم خائن وكل ود عندهم كاذب؟، يقول[٢]:

وأبُوكِ عِنْدَ المَوْتِ..
لنْ يَبْكِي علَى وُدٍّ خَؤُونٍ..
كُلُّ وُدٍّ عِنْدَهُنَّ..
مُكَذَّبُ.

ويعاود الشاعر تأكيده على ابنته أنه عند مواجهة الموت لن يخالط قلبه الأسى على شيء في هذا الكون، إنه لن يخسر شيئا برحيله من الدنيا فلا شيء فيها يستحق الأسى والحزن، وكيف لا وهو عاش فيها قدر ما عاش ولم يجنِ منها إلا الرجاء الخائب في الصديق الزائف والحبيب الخائن، والود الكاذب، يقول[٣]:

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٥.
(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٤.
(٣) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٤.

وأبُوكِ عِنْدَ المَوْتِ..

لنْ يَأْسَى علَى شَيءٍ أُضِيعَ..

فمَا لَهُ في الكَوْنِ..

إلَّا ذَا الرَّجَاءِ الأَخْيَبُ.

وعلى امتداد الزينبية لم يألُ الشاعر جهدا في نصح ابنته والتأكيد عليها بعدم الحزن على فراقه والأسى بعد موته في غير موضع، حرصا منه على تقوية عزيمتها في مواجهة موت أبيها، كقوله[1]:

لا تَحْزَنِي..

باللَّهِ ساعَتَها..

أَيَا فَجْرَ الطَّهَارةِ..

كُلُّ حيٍّ يُطْلَبُ.

ومثل قوله في مطلع القصيدة[2]:

لا تَحْزَنِي أَبُنَيَّتِي..

يَوْمًا..

وَقَدْ جَفَّ السَّنَى..

فِي مُقْلَتِيَّ..

حَبِيبَتِي..

وَطَوَى أَباكِ المَغْرِبُ.

ومن عزم الشاعر وشجاعته وقوته في مواجهة الشعور باقتراب الموت ودنو الأجل، أنه استطاع أن يطرح هذا الشعور جانبا وأن يخرج من ضيق شعور الخوف من الموت إلى رحابة شعور الحب والمسئولية تجاه ابنته الحبيبة؛ فظل طوال القصيدة يعرفها بمعالم شخصيته، وينفي عن نفسه كل ظن سيء قد يسكن

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٣-١٤.

(2) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٠.

قلب ابنته وعقلها إن اطلعت على مذكراته وأشعاره بعد موته، لقد استشعر بقلب الأب أن الظنون السيئة قد تكون أشد وطأة وألما على قلب ابنته من فراقه وموته؛ ولا غرو؛ فتحطم الصورة المثالية للأب المثالي أمام أعين أبنائه أكثر إيلاما من موته؛ فهي موت آخر بعد الموت الحقيقي، إنها موت القدوة والمثل الأعلى وسراج الحب ونبراس المستقبل؛ ومن ثم رأينا الشاعر يكرر على مسامع ابنته تبريراته مصحوبة بنهي متوسل عن اللوم وإساءة الظن به، كقوله [١]:

لا تُغْرِقِي بالظَّنِّ..
_مُهْجَةَ مُهْجَتِي _
فأَبُوكِ أَطْهَرَ منْ تَعَشَّقَ فِي الدُّنَا..

وكقوله [٢]:

لا تُمْعِنِي باللَّوْمِ ساعَتَهَا..
_دَمِي_ ..
إِمَّا تَرَيْنَ خَوَاطِرِي..
بِدَفَاتِرِي كَلْمَى..
وشِعْرِي بالمَرَارَةِ نازِفًا..
كَمَدًا..

وهكذ، لم يستسلم الشاعر لإحساس الخوف من الموت ودنو الأجل ولم يستغرق في مشاعر الألم والحزن على فراق أحبته، وإنما ظهر من بين الكلمات قويا شجاعا، يشغله شعور ابنته وقلبها وصورته أمامها بعد موته أكثر مما يشغله الموت نفسه وفراقه للدنيا وما فيها من متاع وحياة زاهرة.

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٠.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢١-٢٢.

٦- مشهد القبر

يعد مشهد القبر من المشاهد الفارقة في عقول الناس خاصة الشعراء منهم، بل هو حجر الزاوية في شعر رثاء النفس، فلا يمكن أن يتجاوزه شاعر أطبق عليه الحزن فكيه ووقع فريسة سهلة لمشاعر الاغتراب وألم الفراق، وبه يختم الشاعر رؤيته مذعنا بحقيقة الموت ويرسم لوحة النهاية بخطوط عريضة، من خلال وصف مشهد القبر وكيفية دفنه، وانصراف الناس عنه، راسما بذلك صورة حزينة من شأنها أن تزيد رؤيته امتدادا وتكثيفا وصدقا وإيحاء.

وهاهو الدكتور محمد جاهين بدوي يرسم لوحة النهاية، ويصف مشهد قبره عبر توجيه الخطاب لابنته الحبيبة زينب، لقد نشب المرض أظافره في جسده، واشتعل الخوف من الموت في قلبه، وطوق الحزن عنقه، واستبدت به مشاعر الاغتراب والوحشة؛ فلم يجد منها خلاصا إلا برثاء نفسه ووصف حاله بعد الموت.

إنه يطلب من بنيته أن تصف للناس حاله بعد مفارقة الحياة، وأن تخبرهم أن لا فرق في الحالين عنده، فهو في القبر وحيد مستوحش كما كان في الدنيا وحيدا مفردا لا صديق ولا حبيب، وأن حفرة القبر الضيقة التي وضع فيه، لا تختلف عن الحياة التي عاشها والتى عانى فيها من ضيق قلوب الأصدقاء والمحبين عن استيعاب حبه، وضيق وقتهم عن استيعاب حقوق الصداقة والمودة، يقول[١]:

قُولِي:
لقَدْ رَقَدَ الحَبِيبُ..
بحُفْرةٍ..

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٢.

وثَوَى هناكَ مُفْرَدًا..
مُسْتَوْحِشًا..
لالمْ يُغَيَّرْ حَالُهُ..
أوْ ضَاقَ في وَجْهَيْهِ..
ساحٌ أرْحبُ.

ولم يتوقف الشاعر عند وصف مشهد قبره ووصف حاله فيه، بل إنه من فرط شعوره بالحزن والأسى تعدى ذلك إلى وصف شكله بعد الموت، وكيف تكون هيئته بعد مفارقة الحياة، لكن الأمر لم يتعدى سوى رسم لوحة حزينة لوجه كان في الدنيا بشوشا، أظلمت بسمته الوضاءة، وذبلت في فمه حديقة القبلات والابتسامات، وأما قلبه الطيب فحتما مصيره تحت التراب، يقول[1]:

قُولي:
لَقَدْ رَحَلَ الحَبيبُ..
ذَوَى بقُبْلَتِهِ..
اخْضِرارٌ وَارِفٌ
واغتَالَ بَسْمَتَهُ الوَضِيئَةُ..
غَيْهَبُ
وَثَوَى لَهُ..
في التُّرْبِ قَلْبٌ أطْيَبُ

لقد عانى الشاعر تجارب شعورية أليمة، إزاء ما مر به من مرض وغربة عن أهله ووطنه، واغتراب روحه بين رفاقه وأصدقائه، أضف إلى ذلك شعوره بدنو أجله واقتراب لحظة النهاية؛ فتوهج إحساسه الشفيف،

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٢.

وتفجرت فيه مكامن الإبداع، فوصف مشهد قبره وعملية دفنه وحاله بعد الموت وشكله وهيئته بعد صعود روحه؛ فكانت هذه اللوحة الحزينة المؤثرة بدلالاتها وإيحاءاتها صورة صادقة عما يعانيه من أسى وحزن على فراق ابنته.

لقد تحركت في عوالمه الباطنة أنغام الحزن والشقاء، ثم تحولت في قصيدته "إلا ودادك زينب" إلى زفرات ألم، وصرخة في وجه الحياة البائسة، وعبر من خلال شعره عن وجدانه الجريح الدامي الملون بالمآسي، المخضب بالأحزان، فانسابت مشاعره داخل وعاء لغوي حاد مملوء بالمآسي والوحشة والاغتراب، واستطاع أن يتجاوز وحدته وحزنه عن طريق رثائه لنفسه وبكاء ذاته.

المبحث الثاني
التشكيل الفني

أولا: الألفاظ والأساليب:

١-الألفاظ:

إن اللغة هي لبنات البناء الأولى في القصيدة، ولكل شاعر لغته الخاصة، والتي تشارك في تكوينها مجموعة من الروافد التي تضافرت في جديلة واحدة لتكون المعجم اللغوي للشاعر، ومعلوم أن مهمة اللغة لا تنحصر في توصيل الفكر فحسب، بل إن مهمتها الأكثر جدوى هي التأثير، والتأثير لا يتم عن طريق الفكرة بل عن طريق كيفية التعبير عنها.

وتختلف قدرة اللغة على الإيحاء وتتباين قوة تأثيرها على حسب حالة الشاعر النفسية والشعورية؛ إذ "تتعاقب على الشاعر أحوال متباينة ويتعرض لمواقف مختلفة تؤثر في نفسه وتتحكم فيه، ويحاول الشاعر أن يعبر عن تلك الحالات فلا يجد سبيلا غير اللغة؛ إذ هي وسيلة لنقل ما يعتمل في صدره، وما يجيش به وجدانه، والتجارب التي يتعرض لها الشاعر ليست على نسق واحد، فقد يعتريه طائف من الذعر، ويستبد به الجزع، فتظهر دلالات إحساسه في جمله، ونمط شعوره في كلماته، كما تنم اللغة التي يصطنعها الشاعر عن نفسه، وتعرب عن ذاته، وكلما كان الشاعر صادقا في تصوير انطباعه كلما تلونت لغته، وتباينت أنماطه، وتطورت واختلفت مواقفه." [١]

ولما كنا في مواجهة قصيدة تصنيفها الأدبي رثاء النفس؛ فنحن حتما سنواجه مفردات اللغة الأكثر حزنا وبؤسا تشيع في جنبات تلك القصيدة، فالحزن والألم والحسرة هي المشاعر المسيطرة على لغة القصيدة وألفاظها، فقد حرص

---

(١) عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، عباس بيومي عجلان، دار المعارف، ١٩٨١م، ص١٤٣.

الدكتور محمد جاهين بدوي على تخير المفردات المناسبة لغرضه إضافة إلى قدرتها على الإيحاء والعمق المضموني، ولنقرأ قوله[1]:

قُولِي: إذا أَغْمَضْتِ جَفْنِي..
ـرَوْعَتِي ـ
واخْضَلَّ وَجْهِي بِالرَّدَى..
وّبِطِيبِ دَمْعَكِ زَيْنَبُ..
وَأُهِيلَ فَوْقِي التُّرْبُ..
فِي يَوْمٍ عَبُوسٍ كَافِرٍ..
فِيهِ المَنَايَا عازِفَاتٌ..
فَوْقَ صَدْرِيَ لَحْنَهَا..
والأُمْنِيَاتُ صَوَارِخٌ..
بِمَدَى الرُّؤَى..
والأُغْنِياتُ..
بِلَحْدِهِنَّ تُكَبْكَبُ.

لقد أدى الشاعر معاني الأبيات السابقة في مضامين شعرية تقريرية تفيض ألما وحسرة، من خلال ألفاظ ومفردات معينة، استطاع الإدلاء بها بعيدا عن فرضيات سابقة، أو إملاءات لغوية ملتزَمَة من قبل؛ وما ذلك إلا لأنها مستفادة من واقع تجربته الثكلى، والموقف العاطفي المكلوم الذي أجرى على قلمه هذه المفردات التي هي في حقيقتها قراءة صريحة لمشاعره القلقة، وترجمة لأحاسيسه التي أنهكها الألم، وعصفت بها أنواء الحسرة، وأغرقها طوفان الحزن، ويمكننا أن نستشعر عاطفته المكلومة من خلال هذه الألفاظ: (اخضل وجهي بالردى، دمعك، يوم عبوس، الأمنيات صوارخ، الأغنيات تكبكب، بلحدهن، أهيل الترب).

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٦.

ولعل قراءة أخرى لبعض عباراته تكون أكثر تضويئا على بيان دقة ألفاظه وشفافيتها، وقدرتها على الإيحاء، يقول[١]:

نُوحِي هُنَالِكَ للغَرِيبِ..
وأَعْوِلِي يَا زَيْنَبُ..
وَدَعِي التَّجَلُّدَ جَانِبًا..
لا تَسْمَعِيهِ..
كُلُّ فِقْهٍ فِي التَّجَلُّدِ أَكْذَبُ..

فلفظتي (نوحي للغريب وأعولي) في سياقهما تدلان على مدى حزن ابنته وبكائها على موت أبيها، إلا أنهما فوق دلالتهما المعجمية تعطيان إيحاء قويا بإحساس الشاعر بالغربة، وتدلان على شعور عارم بالوحدة والقهر فوق مجرد معاني الحزن والبكاء، وتعمقان لدى المتلقي شعوره بالضياع والتيه في غربته، وتجسدان بمنتهى الشفافية شعورا بالاغتراب النفسي يغزو عقل الشاعر وقلبه، وكأنه يتصور غربة ابنته من بعده، ونواحها وعويلها عليه لا لمجرد موته وفراقه وإنما لشعورها بالوحدة والتغرب من بعده.

وكذلك قوله واصفا شعوره تجاه المخالطين له في الدنيا، ومدى تغربه بينهم وشعوره بالوحدة رغم وجودهم، لأنه لم يجد منهم ما كان ينتظره من الصداقة والإخاء، يقول على لسان ابنته[٢]:

قدْ كَانَ أَطْهرَ..
ما تَعَوَّدَ منْ دُناهُ..
أذَى اللَّئيمِ..
دعَاهُ كلْبٌ أَجْرَبُ.

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٣.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٢-١٣.

فأيُّ حاليْهِ تُرَاهُ الأصْعَبُ؟!.

فالألفاظ (أذى اللئيم، كلب أجرب) تفيد مدى قبح هؤلاء الذين اقترب منهم وتعامل معهم في حياته، ولم يجد منهم إلا الأذى واللؤم والخسة، إلا أنها في الوقت نفسه تجاوزت الدلالات المعجمية إلى بعد نفسي آخر أعمق من البعد الدلالي، فهى تعكس في وضوح نفسية الشاعر المشمئزة من لؤمهم، وقلبه المستنكف لأفعالهم، وروحه الساخطة المستنفرة منهم.

لقد تبين من خلال العرض، مدى مناسبة الألفاظ في "إلا ودادك زينب" للغرض الشعري الذي نظمت فيه؛ فثمة ارتباط وثيق بين موضوع القصيدة وبين أسلوبها، وغير خاف أن الأسلوب الذي يناسب الرثاء لا يصلح للغزل أو المدح وهكذا، فكل قصيدة تتطلب نسقا تعبيريا خاصا بها يتلاءم مع عاطفتها وموضوعها، وقد أشار النقاد القدامى إلى الصلة بين الأسلوب والأغراض الشعرية، فقد رأى الجرجاني "أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطانك، ولا هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك، بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه".[١]

٢- الأساليب:

حفلت قصيدة إلا "ودادك زينب" بالعديد من الأساليب التي عملت على تعميق دلالاتها وأدى بها الشاعر أفكاره ومضامينه ببراعة واقتدار، مثل أسلوب الالتفات والحوار والاستفهام والاعتراض والنهي والتكرار، وغيرها؛ مما ينبئ عن حجم ثرائه اللغوي الذي يتفجر بين طيات القصيدة.

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص٢٤.

- **الالتفات**

يعرف أسلوب **الالتفات** بأنه: "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة، وهي التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"[١]، ويعد أسلوب الالتفات من الأساليب البارزة الحضور في قصيدة إلا ودادك زينب؛ فقد ظل الشاعر يتنقل بين الخطاب والغيبة ثم التكلم ثم إلى الخطاب مرة أخرى طوال القصيدة، ومن ذلك قوله[٢] من مطلع القصيدة محاولا تهدئة ابنته ومواساتها بعد موته، وراجيا لها أن لا تحزن عليه وعلى فراقه:

رَيْحَانَةَ العُمْرِ المُعَنَّى..
زَهْرَ جَدْبِي..
زينَبُ..
لا تَحْزَنِي أَبُنَيَّتِي..
يَوْمًا..
وَقَدْ جَفَّ السَّنَى..
فِي مُقْلَتِيَّ..
حَبِيبَتِي..
وَطَوَى أَباكِ المَغْرِبُ.
وَغَدَا فُؤَدُكِ..
عِنْدَهَا مُتَكسِّرًا..
وَجَفَاكِ..
رَغْمَ الحُبِّ

(١) علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية، د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر ،ط٤، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص٢٥٤.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٠.

فِي الدُّنْيَا أبُّ.

قُولِي:

لقَدْ نامَ الحبيبُ..

وكَمْ تَنَاهبَهُ السُّهَادُ..

مُخاصِما جَفْنِيهِ..

ذيَّاك الرقَادُ..

وما اسْتقادَ لهُ..

المرامُ الأَصْعَبُ..

فقد انتقل الشاعر من الخطاب إلى التكلم إلى الخطاب ثم إلى الغيبة؛ أملا في اجتذاب انتباه مخاطبه "ابنته زينب"، في محاولة منه للتلطف بها وتخليصها من الأجواء الحزينة التي تقبع فيها منكفئة على ذاتها بعد موت أبيها، بين وطأة الحزن ومرارة الفقد، وشعور عارم بالضياع والتيه يجتاحها من بعده.

- **الحوار**

كما يعد أسلوب الحوار من أبرز الأساليب حضورا في قصيدة "إلا ودادك زينب"؛ حيث شُيدت بنيتها من أولها إلى آخرها على نمط حواري بين الشاعر وابنته، لتضع المتلقي أمام مشهد واحد متكامل وجلسة حوارية تتعدد فيها المضامين والرؤى، لكنها تصب في النهاية في بوتقة رثاء الذات وبكائها.

ويعرف أسلوب الحوار بأنه: "تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر، وهو نمط تواصل حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي، ويتصل الحوار بأوثق سمات الحياة وهي الديمومة في إقامة التواصل" [١]، وقد استخدم الدكتور

(١) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د/سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م، ص٧٨، وانظر: الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ص١٣.

محمد جاهين بدوي اللغة الحوارية في قصيدته "إلا ودادك زينب" بعدة طرق منها الحوار الخارجي وذلك بأن يوجه الخطاب لابنته مبتدئا بقوله: "قولي"، ثم يخبر بمكنون نفسه وخلجات صدره على لسانها، ومن ذلك قوله[١]:

قُولِي:
لقَدْ رَقَدَ الحَبِيبُ..
بحُفْرةٍ..
وثَوَى هناكَ مُفْرَدًا..
مُسْتَوْحِشًا..
لا لمْ يُغَيَّرْ حَالُهُ..
أوْ ضَاقَ في وَجْهَيْهِ..
ساحٌ أرْحبُ.

غير أن قصيدة "إلا ودادك زينب" جاء فيها الحوار قائما على طرف واحد هو الشاعر، موجها خطابه إلى مخاطب واحد هو ابنته زينب، إلا أنها لم يظهر دورها في الحوار طوال القصيدة إلا عندما وظف الشاعر نوعا آخر من الحوار على لسان ابنته وهو الحوار الداخلي "منولوج" وذلك عندما تصور مشهد ابنته عند قراءتها دفاتره بعد موته والاطلاع على أسراره فتطرح على نفسها عدة تساؤلات في محاولة منها لتجاوز دهشتها واستنكارها، رغبة في إزالة الغموض عن شخصية والدها والوصول إلى حقيقته والوقوف على إنسانيته في الحب والعشق والوجد والبكاء، يقول[٢]:

وَسَتَقْرَئِينَ دَفَاتِرِي وَقَصائِدِي..
أَبُنَيَتِي..

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٢.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٨-١٩.

مَشْدُوهَةً تتَسَاءَلِينَ:
أَكَانَ يَعْشَقُ..
مِثْلَ رُفْقَتِنَا أبِي؟!
أَوَ كانَ يَنْزِفُ..
مِنْ غَرَامٍ وَجْدَهُ؟!
أَوَ كانَ يَذْرِفُ..
مِثْلَ دَمْعَتِنَا أَبِي؟!
وتُرَى لَهُ بالخَدِّ..
دَمْعَةُ عاشِقٍ..
تَتَصَبَّبُ؟!

لقد استطاع الشاعر أن يعبر عن مخاوفه من خلال توظيف المنولوج الداخلي على لسان ابنته، وقد بدا من خلال تلك الحالة على قدر عال من التوتر والقلق تجاه ابنته وخوفه أن تتغير صورته في عينيها بعد وفاته، وربما كان لوطأة الحزن على قلبه يد في ذلك؛ فجاءت مناجاته دالة على حاله معبرة عن عاطفته القلقة، مجسدة هيئته الحزينة الغارقة في الحيرة والتساؤلات.

وغير خاف أن أسلوب الحوار قد أضاف للقصيدة بعدا دراميا متعدد الاتجاهات؛ فهو ينمي الصورة، ويبرز قوة الإيحاء، ويعطي القصيدة طابعا دراميا خاصا، يسهم في إخراجها من الذاتية الضيقة إلى الموضوعية العميقة؛ "فالشعر يبدأ غنائيا، ثم يميل إلى الحكاية والحبكة والسرد، ثم يقترب من الدراما عفويا، فتتولد فيه جذور تعد النواة الدرامية الأولى".[1]

(1) راجع: الأصول الدرامية للشعر العربي، د/ جلال الخياط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢م، ص٥٧.

- **الاستفهام**

كما أن الاستفهام من أهم الأساليب التي اعتمد عليها الدكتور محمد جاهين بدوي في قصيدته "إلا ودادك زينب"، وقد عرفه العلماء بأنه "طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة".[1]، وينهض الاستفهام في النصوص الشعرية ليؤدي معان مجازية أخرى يكون لها دور بارز وبصمة واضحة في إثراء النص، فقد يورده الشاعر للتعجب، أو التقرير والتأكيد، أو الاستنكار، أو الإغراء، وغير ذلك؛ مما يكون له عظيم الأثر في عرض الرؤية الشعرية بصورة أكثر إيحاء وتأثيرا، لكن الدكتور محمد جاهين بدوي وظف الاستفهام في "إلا ودادك زينب" مرتين، أولهما للتقرير والتأكيد، ومن ذلك: قوله مقررا أن حاله بعد الموت ليس أصعب مما كان عليه في حياته، ومؤكدا أن هذه الحياة لا خير فيها؛ فلم ير فيها إلا غدر الأصدقاء ولؤم المحبين[2]:

قدْ كَانَ أزْهَرَ..
مَا تَعَوَّدَ منْ دُنَاهُ..
هُوَ الرَّبِيعُ الأجْدَبُ.
فأيُّ حاليْهِ تُرَاهُ الأصْعَبُ؟!
قدْ كَانَ أطْهرَ..
ما تَعَوَّدَ منْ دُناهُ..
أذَى اللَّئيمِ..
دعَاهُ كلْبٌ أَجْرَبُ.
فأيُّ حاليْهِ تُرَاهُ الأصْعَبُ؟!.

---

(1) بغية الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ، القاهرة، ١٩٩٩، ج٢، ص٣٠.

(2) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٢-١٣.

أما المرة الثانية التي وظف فيها الشاعر أسلوب الاستفهام في القصيدة: فكان على سبيل الاستنكار والتعجب وذلك على لسان ابنته؛ حيث تعجبت واستنكرت أن يكون أبوها مثل بقية البشر يمكنه أن يحب أو يبكي وجدا على محبوبته، يقول[1]:

وَسَتَقْرَئِينَ دَفَاتِرِي وَقَصائِدِي..
أَبُنَيَتِي..
مَشْدُوهَةً تتَسَاءَلِينَ:
أَكَانَ يَعْشَقُ..
مِثْلَ رُفْقَتِنَا أَبِي؟!
أَوَ كانَ يَنْزِفُ..
مِنْ غَرَامٍ وَجْدَهُ؟!
أَوَ كانَ يَذْرِفُ..
مِثْلَ دَمْعَتِنَا أَبِي؟!
وتُرَى لَهُ بالخَدِّ..
دَمْعَةُ عاشِقٍ..
تَتَصَبَّبُ؟!

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٨-١٩.

- **أسلوب النهي**

كما اتكأ الشاعر على أسلوب النهي في قصيدته "إلا ودادك زينب"، وقد عرفه البلاغيون بأنه "طلب الكف عن شيء ما مادي أو معنوي، وتدل عليه صيغة كلامية واحدة، هي الفعل المضارع الذي دخلت عليه لا الناهية"[١]، وقد يخرج أسلوب النهي عن معناه الحقيقي ليؤدي معاني دلالية أخرى، منها الرجاء أو النصح، والإرشاد، فالشاعر ينهى ابنته عن الحزن عليه بعد موته في غير موضع من القصيدة، ويرجو منها أن لا تبتئس على فراقه؛ فهذه سنة الله في أرضه ولا مفر لأي إنسان من مصيره المحتوم!، يقول[٢]:

لا تَحْزَنِي..
باللَّهِ ساعَتَها..
أَيَا فَجْرَ الطَّهَارةِ..
كُلُّ حيٍّ يُطْلَبُ.

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم ، دمشق، ط١، ١٩٩٦م، ص٢٢٨.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٣-١٤.

ولشدة إشفاق الشاعر على ابنته، وخوفه أن يمس الحزن قلبها؛ فهو لا يفتأ يذكرها بأن لا تحزن على فراقه، ويرجوها أن تترفق بنفسها ولا تؤلم قلبها بالحزن عليه عبر أسلوب من النهي يفيض أسى وحسرة على مصيره، ومصير ابنته من بعده، يقول[١]:

لا تَحْزَنِي أَبُنَيَّتِي..
يَوْمًا..
وَقَدْ جَفَّ السَّنَى..
فِي مُقْلَتِيَّ..
حَبِيبَتِي..
وَطَوَى أَباكِ المَغْرِبُ.

وفي موضع آخر ينهاها عن الصبر على الحزن والبكاء على فرقه، وأنها يجب أن تنوح وتبكي عليه ولا تتصبر، وكيف لا وكل فقه في التجلد أكذب!، وما ذلك إلا من شدة قلق الشاعر واضطرابه إثر شعور عارم بالغربة والاغتراب النفسي، ظهر أثره في اضطراب نصائحه لابنته وتضاربها على طول القصيدة، مرة يرجوها وينصحها بعدم الحزن عليه ومرة ينصحها بالبكاء والعويل وعدم إظهار الصبر والجلد!، يقول [٢].

وَدَعِي التَّجَلُّدَ جَانِبًا..
لا تَسْمَعِيهِ..
كُلُّ فِقْهٍ فِي التَّجَلُّدِ أَكْذَبُ.

ثم يتخذ الشاعر من أسلوب النهي مطية له ليصل إلى عقل ابنته وقلبها، فيرجوها في موضع آخر من القصيدة أن لا تلومه على حبه

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٠.
(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٣.

ووجده الماثل في أشعاره التي ستقرؤها في دفاتره بعد موته، أملا في تحسين صورته التي ربما تهتز في مخيلة ابنته، يقول[1]:

لا تُمْعِنِي باللَّوْمِ ساعَتَهَا..

_دَمِي_ ..

إِمَّا تَرَيْنَ خَوَاطِرِي..

بِدَفَاتِرِي كَلْمَى..

وشِعْرِي بالمَرَارَةِ نازِفًا..

كَمَدًا..

وكِبْرِي مِنْ غَرَامٍ..

رَاعِفًا..

مُتَوَسِّلًا..

مُسْتَعْطِفًا..

يَسْتَعْتِبُ

- **النداء**

وقد جاء أسلوب (النداء) في مقدمة الأساليب التي استخدمها الشاعر بكثرة لعرض أفكاره ورؤاه في قصيدة إلا "ودادك زينب"، فقد ورد النداء في القصيدة اثنتين وعشرين مرة، ما بين النداء باسم ابنته الصريح وما بين النداء مستخدما وصفا لها، وقد يأتي مرفقا بأداة النداء أو غفلا منها، كما تعددت المعاني البلاغية التي أداها الشاعر متوسلا بأسلوب النداء، كالتحسر، والاستغاثة والدعاء، والتنبيه، والتعظيم، لكن أكثر ما

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢١-٢٢.

يستخدمه الشاعر في القصيدة لإظهار التحسر والحزن، كقوله متحسرا على ابنته وحالها من بعده[١]:

رَيْحَانَةَ العُمْرِ المُعَنَّى..

زَهْرَ جَدْبِي..

زينَبُ..

لا تَحْزَنِي أَبُنَيَّتِي..

يَوْمًا..

وَقَدْ جَفَّ السَّنَى..

فِي مُقْلَتِيَّ..

حَبِيبَتِي..

وَطَوَى أَبَاكِ المَغْرِبُ.

لقد افتتح الشاعر قصيدته في رثاء نفسه في أول مقاطعها بخمسة نداءات متتالية لابنته، (ريحانة العمر المعنى، زهر جدبي، زينب، أبنيتي، حبيبتي) أربعة منها محذوفة الأداة، إيحاء بمدى قرب ابنته من قلبه والرابع (أبنيتي) باستخدام الهمزة في النداء وهي أيضا للقريب الحبيب، مما يدلل من دون شك على مدى حزن الشاعر على ابنته وهي أقرب أبنائه إلى قلبه ومدى حسرته على ما سيغتال قلبها من حزن وألم على فراقه.

وفي موضع آخر يتشكى الشاعر ويتوجع من حر نار الشوق ب"أواه" يعقبها بأسلوب نداء نشتم منه رائحة التعبير العامي "يا كبدي" إمعانا في إظهار التوجع والتحسر على فراق ابنته وهي ما زالت في سن الطفولة والبراءة، بل هي كبد البراءة ولبها، يقول[٢]:

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٠.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٩.

أَوَّاهُ يا كَبِدِي..

وَيَا كَبِدَ البَرَاءَةِ..

كُلُّ صّبٍّ مُسْتَهَامٌ..

مُسْتَطَارُ الُلُّبِّ..

نِضْوٌ مُتْعَبُ.

وهكذا، ظل الشاعر طوال القصيدة ينادي ابنته عبر اثنتين وعشرين نداء، متحسرا تارة ومتوجعا أخرى ومستغيثا ثالثة، مصرحا باسمها تارة وناعتا لها بصفة محببة أخرى، مبقيا على أداة النداء مرة، ومتخففا منها أخرى، فنجد من تلك النداءات "حبيبتي[١]،أبنيتي[٢] روعتي[٣]، مهجة مهجتي[٤]، يا حقل اخضرار الحب[٥]، دمي[٦]، زهرتي[٧]، بنيتي[٨]، أيا فجر الطهارة[٩]... وغيرها" وفي كل لا نعدم أثر الحسرة والتألم رغم جمال وبهجة المسميات التي أطلقها على ابنته عبر نداءاته المتكررة، مما يدل على مدى حب الشاعر لابنته وقربها منه ومدى تلطفه بها وخوفه عليها وتحسره وحزنه على ما ستلاقيه في الحياة من بعده.

---

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢١.

(٢) نفس المصدر، ص١٨-١٩.

(٣) نفسه، ص١٦.

(٤) نفسه، ص٢٠.

(٥) نفسه، ص٢٠.

(٦) نفسه، ص٢١-٢٢.

(٧) نفسه، ص٢٢.

(٨) نفسه، ص٢١.

(٩) نفسه، ص١٣-١٤.

- **الاعتراض**

كما اعتمد الشاعر كثيرا في توضيح رؤاه وأداء معانيه على أسلوب التمام أو الاعتراض، الذي عرفه ابن المعتز بأنه: "اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمه"[١]، وينهض الاعتراض ليؤدي معاني بلاغية أخرى تفوق مجرد قصد الإطناب أو السعي لاستقامة الوزن، منها التعظيم أو التحسر، أو التنزيه أو الدعاء أو التنبيه وغيرها، وقد جاء الاعتراض في قصيدة "إلا ودادك زينب" ليتعانق بدوره ومعناه مع الجو العام في القصيدة، ومن أمثلته قول الدكتور محمد جاهين بدوي مخاطبا ابنته[٢]:

وَغَدَا فُؤَادُكِ..
عِنْدَهَا مُتَكسِّرًا..
وَجَفَاكِ..
رَغْمَ الحُبِّ
فِي الدُّنْيَا أبٌ.

فاعترض الشاعر بقوله: "رغم الحب" بين الفعل وفاعله ومفعوله، وقد بادر به قبل تمام الجملة للتنبيه على شدة حبه لابنته، وللتأكيد أن ذهابه عنها وجفوته وهجره لها، لا عن كراهية أو إهمال وإنما هي أقدار الله وسنته الجارية في خلقه، لا يستطيع لها دفعا ولا يملك لها مردا!

(١) البديع، لابن المعتز، شرح د/ محمد عبد المنعم خفاجي، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥م، ص٤٦.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٠.

بَيْدَ أن أكثر الاعتراضات ورودا في القصيدة، اعتراض الشاعر بأسلوب النداء، وقد جاء ذلك في كل نداءاته _التسعة عشر_ لابنته على طول القصيدة، ومن ذلك قوله معترضا بين المبتدأ وخبره في ثلاثة مواضع متتالية [1]:

والْعِشْقُ فيهِ ..

_حَبِيبَتِي_..

_رَغْمَ الرَّدَى _ لا يَذْهَبُ.

والْعِشْقُ فيهِ ..

_بُنَيَّتِي_

فِرْدَوْسُ زَهْرٍ لاهِبٍ..

رَوْضُ الصِّبَا..

مِنْ وَجْدِهِ يَتَخَضبُ.

يلفتنا هنا ورود اعتراضين بأسلوب النداء "حبيبتي، بنيتي" وما ذلك إلا قصدا من الشاعر إلى تنبيه ابنته وإشعارها بمدى قربها من قلبه وحبه لها وأنها ملكت عليه نفسه حتى أنه لا يفارقه ذكرها ونداؤها في كل حين، وفي اعتراضه بقوله "رغم الردى" إظهار للتحسر وعظيم الرزء على نفسه وعلى ما يشعر به من الغربة واقتراب أفول نجمه، ورغم كل ما يشعر به فإن قلبه ما زال ينبض حبا ويفيض عشقا وتزهر حدائقه هياما ووجدا.

ولا شك أن توظيف الاعتراض بهذه الآلية أضفى على المعنى ظلالا من الحسن ومزيدا من العمق المضموني، ما كان يتأتى لو جاء النص غفلا منه.

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢١.

ثانيا: التصوير الفني:

إن أيسر المداخل لدراسة التصوير في الشعر هو دراسة الصورة الكلية؛ إذ إن اكتمال الحدث، وتكامل عناصر التجربة الشعرية، وانسجام المناخ الكلي للنص، لا يمكن أن يتم إلا عبر الصور الكلية، والصورة الكلية بدورها لا يمكن أن تتضح إلا من خلال تكامل الصور الجزئية وانسجامها، والوضوح هنا لا يعنى شدة المباشرة وإنما يعنى وضوح الحالة الشعرية.

ولا شك أن الصورة الكلية تحتاج إلى جهد من المتلقي؛ حتي يستطيع إدراكها وتمثلها؛ حيث إنها لا تتكامل إلا إذا كان المتلقي جزءا منها، لأنها تحتاج إلى خياله وحسه؛ ليتمكن من استيعاب كل الصور الجزئية المكونة لها، فضلا عن أن الصورة الكلية لم تعد قاصرة في تكوينها على الصور الجزئية من استعارة وتشبيه وكناية ومجاز، بل ينهض الحوار أو السرد القصصي أو الرمز ليكون ضمن مكوناتها، وقد تكون الصورة الكلية في عدة أبيات أو في بيتين فقط، وقد تمتد لتشمل قصيدة كاملة، كما يجب أن يتوفر فيها اللون والحركة والصوت؛ حتى تكون متكاملة الأجزاء.

وقد نهضت قصيدة "إلا ودادك زينب" لتقدم للمتلقي صورة كلية تحمل في طياتها مجموعة من الصور الجزئية، كالحوار والسرد، والاستعارة والتشبيه والكناية ولتجد مصداق ما أقول؛ فلتقرأ معي قوله[1]:

قُولِي إِذا أَغْمَضْتُ جَفْنِي..

ـرَوْعَتِي ـ

واخْضَلَّ وَجْهِي بِالرَّدَى..

وّبِطِيبِ دَمْعَكِ زَيْنَبُ..

وَأُهِيلَ فَوْقِي التُّرْبُ..

---

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٦.

فِي يَوْمٍ عَبُوسٍ كَافِرٍ..
فِيهِ المَنَايَا عازِفَاتٌ..
فَوْقَ صَدْرِيَ لَحْنَهَا..
والأُمْنِيَاتُ صَوَارِخٌ..
بِمَدَى الرُّؤَى..
والأُغْنِياتُ..
بِلَحْدِهِنَّ تُكَبْكَبُ.

فهذه القصيدة صورة كلية تحتوي عدة صور جزئية، كالاستعارة؛ فقد أنسن اليوم وجعل له وجها عبوسا بل لشدة كآبته جعله كافرا، وأثبت للمنايا أصابعا تعزف بها، واكتمل المشهد الحزين بصراخ الأمنيات وكبكبة الأغنيات.

وقد ظهر ولع الشاعر بالتشخيص على امتداد القصيدة؛ حيث أحيا عناصر الكون والطبيعة والجمادات، وأثبت لها صفات بشرية؛ فأصبحت تنطق وتشعر وتتحرك على شاشة وعي المتلقي وخياله، فشعره ينزف كمدا[1]، ودفاتره بعد موته تكفكف دمعها شوقا إليه، ومكتبه مهيض الجناح، يقول[2]:

هَذِي دَفَاتِرُهُ..
تُكَفْكِفُ دمْعَها..
شَوْقًا إِلَيْهِ..
وَذَا هُنَالِكَ صَوْبَ قِبْلَتِهِ..
ثَوَى..
فِي رُكْنِ غُرْبَتِهِ..
مَهِيضًا مَكْتَبُ..

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢١-٢٢.
(2) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٧-١٨.

كَمْ بَثَّهُ عِشْقًا..

تَلَظَّى فِي حَشَاهُ..

ومَا اسْتَقَامَ لَهُ بِعِشْقٍ..

مَذْهَبُ

كما اتكأ الشاعر كثيرا في صياغة صوره الاستعارية على أسلوب التجسيد، ويعرف التجسيد بأنه التعبير عن المعاني المجردة بأنساق لغوية تجعلها محسوسة، وتخرجها من معناها الاصطلاحي إلى معنى جديد غير مألوف، وغير خاف أن التجسيد الذي يلبسه الشاعر للمعاني المجردة؛ يعطي الصورة الشعرية نوعا من العمق والحيوية؛ حيث إن الصورة التجسيدية" تجعل غير المرئي في المرئي، وهي لا تكثف المحسوس بل تصعده، فالعلاقات المرئية تستمد قيمتها مما ترمز إليه من عواطف ومعان وقيم"(١).

ويعد من أفضل الصور التجسيدية المعبرة عن حزن الشاعر وألمه على فراق ابنته، مما دفعه إلى تصوير خواطره كَلْمَى، ويجعل الكمد نزف الشعر، بل إن كِبره يرعف توسلا واستعطافا وعتبا، **يقول**(٢):

لا تُمْعِنِي باللَّوْمِ ساعَتَهَا..

ـدَمِيـ ..

إِمَّا تَرَيْنَ خَوَاطِرِي..

بِدَفَاتِرِي كَلْمَى..

وشِعْرِي بالمَرَارَةِ نازِفًا..

كَمَدًا..

وكِبْرِي مِنْ غَرَامٍ..

---

(١) دراسة الأدب العربي، مصطفى ناصف، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٦٨.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢١-٢٢.

رَاعِفًا..

مُتَوَسِّلًا..

مُسْتَعْطِفًا..

يَسْتَعْتِبُ.

كما توفر في القصيدة أسلوب الحوار والسرد القصصي، فضلا عن توافر أنماطها المختلفة؛ ففيها خط اللون في: (جف السنى، حقل اخضرار الحب، قلب لؤلئي، سندسي، مذهب، طواه المغرب، اغتال بسمته الوضيئة غيهب)، وخط الحركة في: (يزجي شجوه، وانثنى بالخيانة يحطب)، وخط الصوت في: (صراخ الأمنيات، لحن المنايا، كبكبة الأغنيات، دعي التجلد لا تسمعيه).

وللتشبيه البليغ مكانة خاصة في تلك الصورة الكلية؛ فمحبوبته (حديثها آي ندي مطرب، وقليبها روض ربرب، والشاعر قلب سندسي مخملي كوثري لؤلئي مذهب)، كما أن للكناية دور لا يجحد في اكتمال الصورة الكلية كقوله كناية عن مدى سطوة الحب وغلبته حتى على أعتى الرجال: "لكنه الحب الذي كم دق أعناق الرجال" وكقوله كناية عن موته وانقضاء أجله: " اخضل وجهي بالردى وبطيب دمعك زينب"، وغيرها كثير؛ مما كان له عظيم الأثر في تفعيل طاقات النص الإيحائية.

ثالثا: **الإيقاع**:

الموسيقى هي جوهر الشعر وأساس بنائه، بل هي الفارق بينه وبين سائر الفنون النثرية الأخرى؛ فقد أجمع النقاد على أنه لا شعر بلا موسيقى، بل هي النسق الأساس الذي تبنى عليه القصيدة؛ فهي "العماد الذي تستند عليه وتتغذى به

كل العناصر الفنية المشكِّلة للتجربة الشعرية، وبدون هذا العنصر يتحول البناء الشعري إلى أنقاض نثرية خالية من الروح والعاطفة".[1]

وقد اعتاد النقاد والباحثون عند تناول موسيقى الشعر تقسيمها إلى قسمين شاملين، أولهما يتناول النغم الخارجي ممَثَّلا في الوزن والقافية، والآخر يتتبع أبعاد النغم الداخلي، الذي ينبع بدوره من انسجام الحروف، وتناغم الكلمات، وتوظيف المحسنات البديعية، وغير ذلك من العناصر الخفية التي تسهم في تشكيل بنية القصيدة الموسيقية.

ولما كان هدف الشعر وغايته، التعبير عن تجربة انفعالية، كانت الموسيقى _بشقيها الخارجي والداخلي_ هي الوسيلة الطبيعية للتعبير عن هذا الانفعال؛ فاللغة العربية لغة موسيقية تتوالى في أبنيتها الحركات والسكنات، خاصة وإن كانت منظومة شِعرا.

وقد ظهر مصطلح الإيقاع على الساحة الأدبية والشِعرية كنتيجة طبيعية لتطور الحديث عن موسيقى الشعر الخارجية والداخلية، غير أن بعض الباحثين اختزل مفهوم الإيقاع في الوزن الشعري، وبعضهم عدّ الإيقاع ما ينبثق عن الموسيقى الداخلية من نغمات أساسها تلاؤم الكلمات، وانسجام الحروف عبر بعض الظواهر الموسيقية الخفية كالتكرار والتدوير والمحسنات البديعية.

والحق أن الإيقاع ليس هو الوزن، ولا يعتمد فقط على الموسيقى الداخلية؛ "فليس الإيقاع أمرا بشريا خاصا فحسب، بل هو أمر كوني عام، وليس الإيقاع عنصرا محددا وإنما هو مجموعة متكاملة أو عدد متداخل من السمات المميزة

---

(1) القصيدة الرومانسية في مصر (١٩٣٢-١٩٥٢)، د/ يسري العزب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص١٤٠.

تتشكل –بجانب عناصر أخرى– من الوزن والقافية الخارجية، والتقفيات الداخلية بواسطة التناسب الصوتي بين الأحرف الساكنة والمتحركة"[١]

وبناء عليه؛ فقد وجب التفريق بين الإيقاع والوزن، فإن كان " التركيب الوزني للشعر، هو التتابع الذي تكونه العناصر الأولية المكونة للكلمات، وتشكل هذا التتابع في كتلة مستقلة فيزيائيا لها حدّان واضحان: البدء والنهاية (التفعيلة)، فالإيقاع شيء آخر، إنه الفاعلية التي تنقل إلى المتلقي ذي الحساسية المرهفة، الشعور بوجود حركة داخلية، ذات حيوية متنامية، تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية، فالإيقاع بلغة موسيقية، هو الفاعلية التي تمنح الحياة العلامات الموسيقية المتغايرة، التي تؤلف بتتابعها العبارة الموسيقية".[٢]

إذن، فـ" الإيقاع يتشكل من مجموع كل من الوزن ومكونات التركيب، ويكتسب هذا الإيقاع سمات مميزة من خلال طول أو قصر المقاطع والحركات، وكذا الجمل والصيغ وألوان التصرف فيها".[٣]،

ومن هذا المنطلق، يمكننا القول بأن الإيقاع ليس هو الوزن فحسب، وليس هو ما ينبعث من الموسيقى الداخلية وحدها، بل هو حالة وفاعلية عامة، تتحد فيها كل عناصر النص الشعري، كالوزن والقافية، والمحسنات البديعية، وعوامل بعث الموسيقى الداخلية، إضافة إلى العاطفة والتجربة الشعورية التي يعايشها الشاعر وتنعكس –بلا شك– على إيقاع قصيدته؛ ومن ثم؛ فهناك إيقاع خارجي، وآخر

---

(١) راجع: تأويل الخطاب الشعري بين النظرية والتطبيق، محمد أحمد العزب نموذجا، د/ ابراهيم الزرزموني، ص٦٨بتصرف.

(٢) التجربة الإبداعية في شعر علاء جانب، د/أسماء عبد الحكيم راتب، دار النخبة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢١م، ص٤٧٩، وينظر:في البنية الإيقاعية للشعر العربي، د/ كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٤م، ص٢٣٠.

(٣) تأويل الخطاب الشعري بين النظرية والتطبيق، ص٧٠.

داخلي، وثالث شعوري نفسي، وكلها تنصهر في بوتقة واحدة لتكون الإيقاع العام للقصيدة.

والإيقاع في قصيدة "إلا وداد زينب"، يتدفق في سلاسة وعذوبة عبر ترانيم بحر الكامل، مرتكزا على موسيقاه الداخلية وعناصر تكوينها، مستمدا قوته وعمقه من عاطفة الشاعر الجياشة وصدق تجربته، ولنقرأ معا جزءا من قصيدته إلا ودادك زينب، يقول[1]:

قُولِي إذا أَغْمَضْتِ جَفْنِي..
ـرَوْعَتِيـ
واخْضَلَّ وَجْهِي بِالرَّدَى..
وّبِطِيبِ دَمْعَكِ زَيْنَبُ..
وَأُهِيلَ فَوْقِي التُّرْبُ..
فِي يَوْمِ عَبُوسٍ كَافِرٍ..
فِيهِ المَنَايَا عازِفَاتٌ..
فَوْقَ صَدْرِيَ لَحْنَهَا..
والأُمْنِيَاتُ صَوَارِخٌ..
بِمَدَى الرُّؤَى..
والأُغْنِياتُ..
بِلَحْدِهِنَّ تُكَبْكَبُ.

إن القراءة الأولية للقصيدة دون إمعان النظر في تفاصيل تكوينها، قادرة أن تُشعر المتلقي بالإيقاع الواجم الحزين الذي يتدفق عبر مواجيد الكلمات، وذلك النغم الملتحف بالأسى الذي ينبعث من بين ثنايا الأبيات، ولنا أن نتساءل، ما الذي أوحى للمتلقي بهذا الإيقاع الحزين؟ هل هو الوزن؟ أم القافية؟، أم التجربة

(1) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٦.

الشعورية والحالة النفسية التي يعانيها الشاعر؟، أم الكلمات؟، أم انسجام الحروف واتساقها مع المعاني؟!

والحق أن كل ما سبق كان له دور في تفعيل إيقاع القصيدة؛ فالشاعر يستشعر دنو أجله ويترقب الموت المتربص به في كل حين، وما كان ليشعر بكل هذا إلا لأنه يعاني اغترابا ذاتيا سببه الوحدة، وتنكر الأقارب ونسيان الأصدقاء الذين تنكروا له، فلم يعد يرى منهم إلا اللؤم والأذى، أما هو فأصبح غارقا في بحار الخوف، الخوف من الموت، والخوف على ابنته من المعاناة وألم الفراق من بعده، وفي الوقت ذاته يحاول الشاعر أن يعضد شعور القوة في نفس ابنته، وأن يشد من أزر روحها لئلا تحزن عليه بعد موته.

ومن ثم، فالشاعر في تلك القصيدة يتنازعه شعوران يتناوبان الظهور على امتداد القصيدة، أولهما: شعور بالألم والحسرة والحزن بسبب دنو الأجل وخوف المصير المحتوم، وثانيهما: شعور بالإشفاق والخوف على ابنته التي ستذهب نفسها حسرات عليه بعد فراقه، ومحاولة تقويتها ودعمها وبث العزم في أوتار قلبها، أملا في تخليصها من آلامها حتى لا تنجرف في تيارات الحزن والقهر.

فإذا نظرنا إلى جانب الوزن، فالقصيدة على وزن الكامل، ذي التفاعيل الستة، والأجزاء الثلاثين، ولما كان البحر الكامل يتمتع بالرصانة والفخامة إضافة إلى ما فيه من الرشاقة المطلقة؛ بدا مناسبا لمختلف التجارب الشعورية؛ وهذا الذي يجعل منه "إن أريد به الجد فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن أريد به الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرقة حلوا مع صلصلة الأجراس،....، وهو بحر كأنما خُلق للتغني المحض سواء أريد به جد أم هزل".(١)

ومن أجل ذلك؛ فقد درج الشعراء قديما وحديثا على استخدام الكامل في معالجة مختلف المواقف والقضايا والتجارب الشعورية، فمن عجيب خصائصه "أنه من أصلح البحور لإبراز العواطف البسيطة غير المعقدة، كالغضب والفخر والفرح، فحقيقته غنائية محضة، أي غنائية ترنيمية موسيقية خالصة الموسيقا، وللشعراء

(١) الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري،موضوعاته وخصائصه، قاسم الحسيني، الدار العالمية للكتاب، المغرب، ط١، ١٩٨٦م، ص٣٢١.

في الأداء بواسطته مذهبان، الفخامة والجزالة _هذا مذهب_ والرقة واللطف هذا مذهب آخر"[١]

وفي قصيدة "إلا ودادك زينب" نجد كلا المذهبين – الفخامة والجزالة والرقة واللطف– متناسبين أتم التناسب مع مرونة موسيقى الكامل، ونغمه العذب، ومن خلال ترانيم البحر الكامل، وأنغامه الرتيبة التي تتهادى عبر أثير التفعيلات، استطاع الشاعر أن يبث تجربته الشعورية، وأن يرسم أحاسيسه النفسية بكل ما فيها من انفعالات هادرة أو هادئة، هادرة: عند شعوره بالخوف من اقتراب الموت ودنو الأجل وقلقه واضطرابه على مصير ابنته، وهادئة: عند إرادته مواساة ابنته ودعمها ورأب الصدع الذي سيحدثه ألم فراق أبيها في روحها وقلبها.

وبحر الكامل وزن فخم سميك الأجزاء، "يصلح للبكاء والغضب والحزن"[٢]، ومن ثم جاء اختياره متناسبا مع المعاني السابقة؛ فهي تحتاج أن ترفل في وزن فخم ممتد التفعيلات؛ حتى يستطيع الشاعر أن يحملها كل ما تشعر به نفسه من هموم وأحزان، وفي الوقت ذاته فإن رشاقة الوزن وانسيابية تفعيلاته التي تتهادى في رقة ولطف، تتناسب مع شعور المواساة والتهدئة الذي يحاول الشاعر أن يبثها في قلب ابنته من خلال القصيدة.

ورغم غنائية تفاعيل بحر الكامل، ومناسبته لجميع العواطف الإنسانية، إلا أن توظيفه في الرثاء قليل، يقول د/ عبد الله الطيب المجذوب: " ومن عجيب أمر الكامل أن الرثاء قل أن يصلح فيه، إن لم يكن نوحا وتفجعا"[٣]، وأحسب انه ليس هناك أوجع ولا أفجع من شعور إنسان يرثي نفسه، يبصرها بعد الموت وعند القبر، يرى أبناءه وقد أنشب الحزن مخالبه في قلوبهم وحل الانكسار في نفوسهم، وسكنت الدموع مآقيهم!

---

(١) ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. د/عبد الله الطيب، مطبعة جكومة الكويت، ط٣، ١٩٨٩م، ج١، ص٣١٦–٣١٨ بتصرف قليل.

(٢) ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج١، ص٣٤٧.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج١، ص٣٤٦.

وإذا أمعنا النظر في تفعيلات الكامل في قصيدة "إلا ودادك زينب"، نجد أن الشاعر قد زاوج بين تفعيلاته القياسية (مُتَفَاعلن)، والمضمرة[1] (مُتْفَاعلن) على امتداد القصيدة، ألا تخال أن في هذه المزاوجة بين نوعي التفعيلات، مزاوجة أخرى بين الشعورين المسيطرين على نفسية الشاعر وتجربته الشعورية؟، وأحسب أن السكون في التفعيلات المضمرة يوحي بالسكون والهدوء الذي يحاول الشاعر أن يوشع به حديثه في مخاطبة ابنته، ويناسب الرقة معها والإشفاق عليها والتلطف بقلبها.

وإن وليت وجهك شطر القافية، وجدت قافية الباء، والباء حرف يناسب التعبير عن القلب المنكسر والنفس المحطمة والروح التي بدد سكونها الألم والحزن والحسرة؛ فهو حرف شفوي "مجهور شديد متعدد الوظائف والخصائص الصوتية، وهو بحكم انفجاره الصوتي بانفراج الشفتين سريعا بعد ضمة شديدة، فهو أوحى ما يكون بمعاني البعج والحفر والقطع والشق والتحطيم والتبديد والمفاجأة والشدة "[2]، وقد جاء محركا بالضم؛ لتناسب رغبة الشاعر في ضم ابنته؛ أملا في حمايتها مما سيواجهها بعد موته من حزن وفجيعة وانكسار؛ ولا غرو، فموت الأب ألم وانكسار.

وإذا عاودنا النظر في أبيات القصيدة لنتلمس شيئا من موسيقاها الخفية، ونغمها الباطني، يطالعنا التكرار، الذي تمثل في تكرار النداء اثنتيْن وعشرين مرة، وجميع النداءات لابنته زينب، مما يعضد شعور الفقد الذي يحسه الشاعر وحاجته الملحة إلى قربها ودنوها منه في أيامه التي يستشعر أنها الأخيرة.

كما نجد التكرار في أسلوب إضافة المنادى إلى ياء المتكلم (زهرتي، مهجتي، روعتي، دمي، بنيتي، كبدي، وغيرها..) ولا شك أن "الدق بهذه الضمائر

---

(1) الإضمار: تسكين الثاني المتحرك، وبه تصير "مُتَفَاعلن" "مُتْفَاعِلُن"، وهو شائع في بحر الكامل، ويدخل في العروض والحشو دون قيد.

(2) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م، ص١٠١-١٠٣ بتصرف.

المتوالية على أذن المخاطب، ليكاد ينسيه ذاته"[١]، الأمر الذي يحمل المتلقي على التيقن من شعور القلق والحزن اللذين سيطرا على أفق الشاعر ونفسه المرهفة، خوفا على بنيته مما سيصبها بعد موته، فأقام على تقريبها والاهتمام بها طوال القصيدة.

ومن جميل اهتمامه بابنته ومحبته لها وإشفاقه عليها، أنه درج على إضافة اللفظ إلى نفسه، خاصة فيما يتعلق بأفعال القلوب، مثل قوله: "لحن لحونه، مهجة مهجتي"[٢]، "وهذا النمط أكثر ما تكرر عند الشاعر في أفعال القلوب التي تكشف عن عاطفته الجياشة، وطبيعته الرقيقة في خطاب ابنته"[٣]، ولا شك أن التكرار بهذه الكيفية يعطي بعدا إيقاعيا يستشعره القارئ والسامع على حد سواء.

ويتكامل إيقاع القصيدة ويستوي على سوقه إذا نظرنا إلى جانب الإيحاء الصوتي للألفاظ، فلا شك أن للألفاظ إيحاءات صوتية تفرض فيها موسيقاها جوا يسهم في ترجمة الإحساس النفسي للشاعر، وقد نجح الشاعر أيما نجاح في تعميق وتجسيد الشحنة العاطفية في تجربته، وذلك عبر توظيفه للإيحاءات الصوتية للألفاظ؛ فقد تكررت في شعره صيغ الاستفهام، والنداء، وحروف التمني، والندبة، والتأوهات، إلى الحد الذي يصبح فيه النص الشعري المسموع أمتع فنيا وجماليا من النص المقروء، ولنستمع إلى تلك الزفرة الحارة التي تحملها "الأواه" بين طياتها، وتعكس معها نفسية الشاعر المتوجعة على بنيته وفراقها وما سيصيبها من بعده، يقول[٤]:

أَوَّاهُ يا كَبِدِي..
وَيَا كَبِدَ البَرَاءَةِ..
كُلُّ صّبٌّ مُسْتَهَامٌ..

---

(١) التكرير بين المثير والتأثير، د/ عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص١٧١، بتصرف قليل.

(٢) ديوان إلا ودادك زينب، ص٢٠.

(٣) البنية الإيقاعية في شعر محمد جاهين بدوي، ص٢٣٤.

(٤) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٩.

مُسْتَطَارُ اللُّبِّ..
نِضْوٌ مُتْعَبُ.

وفي صراخ الأمنيات وعويل الأغاني وعزف المنايا ونواح ابنته وعويلها، إيحاءات صوتية حزينة تتدفق عبر مواجيد الكلمات، فينبثق منها نغم موسيقي ملتحف بالحسرة والأسى لا تخطئه أذن الملتقي، يقول(١):

قُولِي إِذا أَغْمَضْتِ جَفْنِي..
ـرَوْعَتِي ـ
واخْضَلَّ وَجْهِي بِالرَّدَى..
وّبطِيبِ دَمْعَكِ زَيْنَبُ..
وَأُهِيلَ فَوْقِي التُّرْبُ..
فِي يَوْمٍ عَبُوسٍ كَافِرٍ..
فِيهِ المَنَايَا عازِفَاتٌ..
فَوْقَ صَدْرِيَ لَحْنَهَا..
والأُمْنِيَاتُ صَوَارِخٌ..
بِمَدَى الرُّؤَى..
والأُغْنِياتُ..
بِلَحْدِهِنَّ تُكَبْكَبُ.

وهكذا جاء الإيقاع في زينبية الدكتور محمد جاهين بدوي يتضافر في تكوينه العديد من المكونات، ويعمل على بعثه جملة من العوامل، مثل الوزن والقافية إضافة إلى عناصر الموسيقى الداخلية، وانسجام الحروف وتلاؤم الكلمات، ثم ذلك الاتساق التام بين كل هذه العوامل مع عاطفة الشاعر وتجربته الحزينة، ثم تنصهر جميعها في بوتقة القصيدة لتعطي إيقاع القصيدة العام، ذلك الإيقاع الذي يفيض ألما وحسرة ويستشعره القارئ سهلا يسيرا.

(١) ديوان إلا ودادك زينب، ص١٦.

الخاتمة

بعد هذا التطواف بين أرجاء قصيدة "إلا ودادك زينب"، يمكننا الإشارة إلى بعض النتائج التي يمكن إفادتها من هذه الدراسة، ومن أهمها:

١- يمثل رثاء النفس عند الدكتور محمد جاهين بدوي في ظاهره شعر الوجدان الجريح الدامي الملون بالمآسي، المخضب بالأحزان، لكنه في باطنه ملحمة من الحب واللطف، يسطرها من ذوب نفسه التي تتقطر إشفاقا على ابنته الحبيبة زينب.

٢- دارت القصيدة حول عدة معان تصب جميعها في بوتقة رثاء النفس، كالحديث عن الذكريات، ووصف مشهد القبر، ومدح النفس وغيرها.

٣- تناثرت الحكمة بين طيات القصيدة؛ كنتيجة طبيعية لتذكر الموت والآخرة وأخذ العبرة والعظة من السابقين.

٤- عانى الشاعر تجارب شعورية أليمة، إزاء مرضه العضال وغربته وسفره بعيدا عن أسرته وأهله، أضف إلى ذلك شعوره العارم بالاغتراب بسبب تنكر الأصدقاء وهجر الخلان؛ فتوهج إحساسه الشفيف، وتفجرت عنده مكامن الإبداع؛ واستطاع أن يتجاوز وحدته واغترابه عن طريق شعره المتمثل في رثائه لنفسه والبكاء عليها.

٥- جاءت لغة الشاعر معبرة أصدق تعبير عما يجيش به صدره من آلام وأحزان، وما يعتمل في نفسه من حسرة وما يجتاح روحه من مشاعر الاغتراب والوحدة ومعاناة المرض.

٦- تمكن الشاعر من توظيف عدة أساليب للإبانة عن نفسه والإفصاح عن مشاعره، كالالتفات والنداء والاعتراض والنهي والاستفهام، وقد كان لكل منها عظيم الأثر في تفعيل طاقات النص الإيحائية.

٧- استطاع الدكتور محمد جاهين بدوي أن يقدم معاناته وأحزانه في قالب تصويري بديع؛ فكانت القصيدة صورة كلية تنبض بالحياة والحركة، وقد

تضافر في تكوينها وإحيائها العديد من الصور الجزئية كالاستعارة والتشبيه والكناية، فضلا عن الحوار والسرد القصصي.

٨- جاء الإيقاع في زينبية الدكتور محمد جاهين بدوي يتضافر في تكوينه العديد من المكونات، ويعمل على بعثه جملة من العوامل، مثل الوزن والقافية إضافة إلى عناصر الموسيقى الداخلية، وانسجام الحروف وتلاؤم الكلمات، ثم ذلك الاتساق التام بين كل هذه العوامل مع عاطفة الشاعر وتجربته الحزينة.

المصادر والمراجع

- أروع ما قيل في الرثاء، إميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، ط٢.
- أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر،١٩٩٦م.
- الأصول الدرامية للشعر العربي، د/ جلال الخياط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢م.
- الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الأندلس للطباعة، بيروت، لبنان.
- إنتاج الدلالة في شعر محمد جاهين بدوي، ديوان سادن سدرة المشتهى نموذجا، د/ عبير عيسى مهني، بحث مرجعي منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد التاسع والثلاثون.
- البديع، لابن المعتز، شرح د/ محمد عبد المنعم خفاجي، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥م.
- بغية الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩، ج٢.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم ، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
- البنية الإيقاعية في شعر الدكتور محمد جاهين بدوي، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بأسيوط، إعداد الباحث أحمد عبد الموجود عبد النبي، ٢٠٢١م.
- تأويل الخطاب الشعري بين النظرية والتطبيق، محمد أحمد العزب نموذجا، د/ ابراهيم الزرزموني،مكتبة الآداب/ القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠ م..
- التجربة الإبداعية في شعر علاء جانب، د/أسماء عبد الحكيم راتب، دار النخبة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢١م.

- التكرير بين المثير والتأثير، د/ عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- الحكمة، د/ناصر بن سليمان العمر، دار الوطن للنشر، الرياض،ط١، ١٤١٢هـ.
- الحنين والغربة في الشعر العربي، د/ يحيى الجبوري، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
- الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.
- خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.
- دراسة الأدب العربي، مصطفى ناصف، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٦٨.
- ديوان إلا ودادك زينب، د/ محمد جاهين بدوي، دار شمس للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م..
- ديوان حدث أزهري قال، الدكتور محمد جاهين بدوي، دار روعة للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة ٢٠١٤م.
- ديوان حرم الهوى فمها، للدكتور/ محمد جاهين بدوي، دار شمس للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩ م.
- ديوان وجواي فيك جوابي، د/ محمد جاهين بدوي، الطبعة الأولى، دار التلاقي للطبع والنشر، ٢٠١٠م.
- الرثاء، د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤.
- الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري،موضوعاته وخصائصه، قاسم الحسيني، الدار العالمية للكتاب، المغرب، ط١، ١٩٨٦م.

- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د/يحي الجبوري، **مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، ط٢٢ ١٤٢٩،هـ_٢٠٠١م.**
- شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، د/ مصطفى عبد الشافي الشوري، الدار الجامعية ، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م
- شعر محمد جاهين بدوي، دراسة موضوعية فنية، رسالة جامعية لنيل درجة التخصص "الماجستير" من كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات – جامعة الأزهر بالإسكندرية، للباحثة/ خديجة أحمد علي حسن، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٧م.
- العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق د/ عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنانن ١٩٨٣م، ط١.
- علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية، د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر،ط٤، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، عباس بيومي عجلان، دار المعارف، ١٩٨١م.
- الغربة في الشعر الجاهلي، عبد الرازق الخشروم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٢م.
- في البنية الإيقاعية للشعر العربي، د/ كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.
- القصيدة الرومانسية في مصر (١٩٣٢-١٩٥٢)، د/ يسري العزب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- المتنبي وشوقي دراسة موازنة ونقد، د/عباس حسن، دار المعارف ، ١٩٦٤م.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. د/عبد الله الطيب، مطبعة جكومة الكويت، ط٣، ١٩٨٩م، ج١.

- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د/سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.
- المعجم المفصل في الأدب، د/ محمد التنوجي، ج٢، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٩هـ_ ١٩٩٩م.
- مقال منشور بجريدة أخبار العالم، للأستاذ الدكتور/ أحمد عيد عبد الفتاح حسن، أستاذ اللغويات، بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر، بتاريخ ٢٦ / ٣ / ٢٠٢١ م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.